منهج الإمام ابن كثير (ت 774 هـ) في عرض السيرة النبوية من خلال تفسيره (غزوة بدر 2هـ/624م أنموذجاً) «دراسة تاريخية مقارنة»

أ. حشنوبيك يونوسوف

طالب ماجستير- قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف هذه الدارسة إلى إبراز ترجيحات ابن كثير في المغازي النبوية من خلال تفسيره، خاصة غزاة بدر، وإبراز منهجه في تناول السيرة النبوية، وإيضاح علاقة الإمام ابن كثير بالتاريخ، وفكرة الدراسة هو الوقوف على ترجيحات ابن كثير واختياراته بخصوص المغازي في تفسيره في غزوة بدر (**2هـ/624م** انموذجًا)، ويبدأ الدراسة عن أهمية تفسير ابن كثير، ومنهجه في تدوين أخبار السيرة النبوية، وأهمية كتب التفسير في دراسة السيرة النبوية، وماذا روى ابن كثير عن غزوة بدر، وختمتها بتوصيات ونتائج، من أهمها حرص ابن كثير على التوازن بين الرأي والنقل في تفسيره، فلم يقتصر على نقل أقوال المفسرين السابقين، بل قدم آرائه الخاصة مستندًا إلى الأدلة الشرعية، واعتمد في تفسيره على المصادر الأصلية المسندة، من كتب السير والمغازي، إضافةً لكتب السنة النبوية كالصحيحين، وكتب السنن، وأحيانًا ما كان يغفل ابن كثير ذكر المصادر الأصلية، وينقل اختياره في تفسير الآيات مجملاً. وقد أتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي بغية وصف بشكل دقيق، ورغبة الباحث في دراسة السيرة النبوية خاصة من تفسير القرآن الكريم أملاً في تحصيل فوائد علمية في السيرة النبوية والتفسير.

الكلمات المفتاحية: منهج ، الامام ابن كثير، السيرة النبوية، غزوة بدر.

The approach of Imam Ibn Kathir (d. 774 AH) in presenting the Prophet's biography through his interpretation (The Battle of Badr 2 AH/624 AD as an example) "A comparative historical study"

A.Yunsov Khushnidbek Husan Sobir

Abstract:

This study aims to highlight Ibn Katheer's preferences regarding the Prophet's battles through his interpretation, especially the Battle of Badr, highlight his approach in dealing with the Prophet's biography, and clarify the relationship of Imam Ibn Kathir with history. The idea of the study is to examine Ibn Kathir's views and choices regarding the battles in his interpretation of the Battle of Badr (2 AH/624 AD as a model), and begins the study on the importance of Ibn Katheer's interpretation, his approach to recording news of the Prophet's biography,

the importance of interpretation books in studying the Prophet's biography, and what Ibn Katheer narrated about the Battle of Badr, and concluded it with recommendations and results, the most important of which is Ibn Katheer's keenness to balance opinion. And the transmission in his interpretation, he did not limit himself to quoting the sayings of previous commentators, but rather presented his own opinions based on legal evidence, and relied in his interpretation on the original supported sources, from the books of biographies and battles, in addition to the books of the Sunnah of the Prophet, such as the two Sahihs, and the books of the Sunnahs, and sometimes Ibn Katheer neglected to mention The original sources, and conveys his choice in interpreting the verses in general. The study followed the historical and analytical approach in order to accurately describe the researcher's desire to study the Prophet's biography, especially the interpretation of the Holy Qur'an, in the hope of obtaining scientific benefits in the Prophet's biography and interpretation.

Keywords: Minhaj,Imam,bin katheer,Biography of the prophet,Battle of Badr

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله. أما بعد....

فإن دراسة السيرة النبوية من خلال تفاسير القران الكريم لهو الطريقة المثلى والعمل الأوفق للوقوف على أحداث السيرة النبوية. والقران الكريم هو كلام الله القويم وحبل الله المتين ونوره المبين أنزله على عباده نوراً وهدى للناس وتبياناً لكل شيء وفرقانا بين الحق والباطل.

هذا ويعد القران الكريم أهم مصدر لدراسة السيرة النبوية لأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

لقد عاش الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في حقبة غنية بالأحداث الجسام والتحولات العميقة في تاريخ العالم الإسلامي. شهد عصره حكم المماليك البحرية لمصر والشام، وامتدادات الحروب الصليبية، وسقوط بغداد، وصراعات السلطة بين الحكام المسلمين.

تميز عصره باضطراب سياسي عميق، ناجم عن ضعف الدين، والسرف، والنزاعات المذهبية. انعكس هذا الاضطراب على الحياة الاجتماعية، فكثرت المجاعات والأوبئة والوفيات.

لكنّ ذلك لم يمنع من إشراق شمس العلم والمعرفة في تلك الحقبة. انتشرت المدارس ودور التعليم، وكثر التأليف في جميع العلوم، وتعدد المجتهدون والحفاظ. برز في تلك الفترة علماء أفذاذ أمثال ابن تيمية، والحافظ الذهبي، والحافظ المزي، والبرزالي، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم.

يعتبر تفسير ابن كثير من أفضل التفاسير وأهمها، وقد حظي باهتمام كبير من قبل علماء المسلمين.

عاش الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله أغلب القرن الثامن الهجري (774-701هـ)، وشهد حقبة غنية بالأحداث الجسام والتحولات العميقة في تاريخ العالم الإسلامي. امتدت هذه الحقبة من حكم المماليك البحرية لمصر والشام (922-648هـ)، لتكون شاهدة على امتدادات الحروب الصليبية (670-490هـ)، وسقوط بغداد عام (656هـ)، وصراعات السلطة بين الحكام المسلمين.

تسلّم ابن كثير زمام العلم في عصرٍ تميز باضطرابٍ سياسيٍّ عميقٍ، ناجمٍ عن ضعف الدين، والسرف، والنزاعات المذهبية. انعكس هذا الاضطراب على الحياة الاجتماعية، فكثرت المجاعات والأوبئة والوفيات. ولكنّ ذلك لم يمنع من إشراق شمس العلم والمعرفة في تلك الحقبة، حيث انتشرت المدارس ودور التعليم، وكثر التأليف في جميع العلوم، وتعدد المجتهدون والحفاظ. برز في تلك الفترة علماء أفذاذ أمثال ابن تيمية، والحافظ الذهبي، والحافظ المزي، والبرزالي، وابن القيم، وابن كثير، وغيرهم.

أسهمت عواملٌ عديدةٌ في ازدهار هذه النهضة العلمية، أهمها:

1. التنافس بين الأمراء في تشجيع العلوم وتقريب العلماء.
2. كثرة الأوقاف على المساجد والمدارس.
3. اليقظة العامة في العالم الإسلامي.
4. وجود علماء أفذاذ وصلوا إلى مرتبة التجديد والاجتهاد.

وأثّر عصر ابن كثير بشكلٍ كبيرٍ على حرية الفكر في البحث والمناظرة، ونبذ التقليد المذهبي الجامد.

ختامًا، عاش ابن كثير في حقبةٍ غنيةٍ بالأحداثِ والتحولاتِ، شهدت صراعاتٍ سياسيةً واضطراباتٍ اجتماعيةً، لكنّها أشرقت أيضًا بنور العلم والمعرفة. وفي هذا المبحث، سلطنا الضوء على أهم سمات عصر ابن كثير، لفهم السياق التاريخي الذي عاش فيه هذا المؤرخ العظيم، وكيف أثرت الأحداث على مؤلفاته ومنهجه العلمي.

أهمية تفسير ابن كثير:

يُعد تفسير ابن كثير للقرآن الكريم من أهم التفاسير وأكثرها انتشارًا، لما يتميز به من منهج دقيق وأسلوب واضح، مما جعله مرجعًا أساسيًا لطلاب العلم والباحثين.

ولعل من مميزات تفسير ابن كثير:

- الاعتماد على المصادر الأصيلة: اعتمد ابن كثير في تفسيره على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين، مما يضفي على تفسيره صحة ودقة.
- سهولة الأسلوب ووضوح المعنى: تميز أسلوب ابن كثير في التفسير بالسهولة والوضوح، مما يجعله ميسور الفهم لجميع القراء.
- غزارة المعلومات: شمل تفسير ابن كثير معلومات واسعة النطاق في مختلف مجالات المعرفة الإسلامية، من علوم القرآن والتاريخ والفقه إلى علم اللغة العربية.
- التوازن بين الرأي والنقل: حرص ابن كثير على التوازن بين الرأي والنقل في تفسيره، فلم يقتصر على نقل أقوال المفسرين السابقين، بل قدم آرائه الخاصة مستندًا إلى الأدلة الشرعية.

ويعتبر تفسير القرآن العظيم لابن كثير من أفضل التفاسير وأهمها، قال الإمام السيوطي: «لم يؤلف على نمطه مثله»[1]، وهذا راجع إلى سلامة المنهج الذي سار عليه ابن كثير في تفسيره وهو التفسير بالمأثور، وقد بين ذلك في مقدمة التفسير بقوله: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[2].

ثم قال: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها»[3].

وهذه تعتبر أفضل الطرق وأحسنها في تفسير القرآن الكريم، وقد اعتنى علماء المسلمون بهذا التفسير عناية عظيمة فمنهم من حققه وصححه وعلق عليه ومنهم من اختصره.

المبحث الأول: منهج ابن كثير في تدوين أخبار السيرة النبوية:

مكانة تفسير ابن كثير ترجع أهميته إلى أنه تفسير بالمأثور، وهذا النوع من التفسير هو الطريق الوحيد لفهم القرآن فهمًا صحيحًا سليمًا من الزيغ والضلالات، وقد التزم ابن كثير بهذا المنهج تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين إضافة إلى اللغة العربية[4]. وعند الحديث عن كتب التفسير بالمأثور فإننا نعود إلى القرن الهجري الأول، حيث كتب سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، وعبد الرزاق الصنعاني، وابن أبي شيبة -رحمهم الله-، ما يعدّ تأليفاً مستقلاً في التفسير، يجمع أقوال الصحابة والتابعين، بخلاف ما سبقهم من الكتابات التفسيرية، التي لا تعدّ تأليفاً مستقلاً في التفسير، وإنما قد تكون تفسيراً لبعض الآيات، أو ضمن روايات أخرى في الحديث[5]. وفيما يتعلق بتفسير ابن كثير فمما تميز به ابن كثير في تفسيره أنه يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بتفسير الآية، مع بيان ما يحتج به منها، وقد اعتمد في تفسيره على أكثر كتب السنة لتدوين الروايات عمومًا، من الصحاح ومن المسانيد والسنن والمعاجم والمستخرجات، وغيرها، حتى شغلت مادة الحديث في تفسيره حيزا كبيرا.

ثم يردف ذلك دائمًا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن يليهم من علماء السلف، وهذا المنهج قد رسمه ابن كثير لنفسه في مقدمة تفسيره، لذلك قال: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبراءهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة

المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود -رضي الله عنهم أجمعين-وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين»[6]. ونظرًا لما للسنة النبوية من أهمية في تفسير القرآن، ولما اشتملت عليه من إيضاح وتفسير وبيان لآيات التنزيل فقد سار ابن كثير على اعتبارها المصدر الثاني للتفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، كما هي طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم من مفسري السلف، «فترى الحافظ ابن كثير بعدما ينتهي من تفسير القرآن بالقرآن ينتقل إلى التفسير بالسنة الواردة عن الرسول ﷺ فيذكر الأحاديث التي تفسر وتوضح معنى الآية، والتي لها علاقة بالآية من أي وجه من الوجوه، كما كانت طريقته في تفسير القرآن بالقرآن»[7]. ويعتمد في نقل الأحاديث على كتب السنة ودواوينها ومصادرها، وقد يروي بالإسناد المتصل إلى النبي ﷺ وهذا قليل ونادر عنده، من ذلك عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن خلا من إخواني من الأنبياء ثمانية آلاف نبي، ثم كان عيسى ابن مريم، ثم كنت أنا»، ثم قال ابن كثير: «وقد رويناه عن أنس من وجه آخر، فأخبرني الحافظ أبو عبد الله الذهبي، أخبرنا أبو الفضل بن عساكر، أنبأنا الإمام أبو بكر القاسم بن أبي سعيد الصفار، أخبرتنا عمة أبي، عائشة بنت أحمد بن منصور بن الصفار، أخبرنا الشريف أبو السنابك هبة الله بن أبي الصهباء محمد بن حيدر القرشي، حدثنا الإمام الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني قال: أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا أحمد بن طارق، حدثنا مسلم بن خالد، حدثنا زياد بن سعد، عن محمد بن المنكدر، عن صفوان بن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت على إثر من ثلاثة آلاف نبي من بني إسرائيل». وهذا غريب من هذا الوجه وإسناده لا بأس به، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا، فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح والله أعلم»[8]. وبذلك فقد أعطى الإمام ابن كثير جانب تدوين السيرة في تفسيره اهتمامًا بالغًا ولا غرو في ذلك حيث أنه قد أخذ على نفسه اعتبار السنة النبوية مصدرًا أصيلًا في تفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، وسيرته ﷺفيها بيان لسنته وهدية وسيرته في غزواته وحروبه، والوقائع التاريخية في عهده عليه الصلاة والسلام وقد اعتمد عمدة المؤرخين في كتابه وهو البداية والنهاية وهذا أكبر شاهد على ذلك[9].

كذلك فقد قد اعتمد الحافظ ابن كثير في تأليف التفسير وفي تدوينه على كتب التفاسير المتقدمة وكتب السير، ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها[10]، جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري[11]، وتفسير ابن أبي حاتم[12]، وتفسير الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه، وتفسير البغوي، معالم التنزيل، وتفسير ابن عطية[13]، المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير الرازي، وتفسير القرطبي[14].

كما قد اعتمد على كتب الحديث للتحقق من الروايات والأخبار فبجانب ما اعتمد عليه من كتب التفسير كان له عدة مصادر أخرى من كتب الحديث، ومنها، صحيح البخاري[15]، صحيح مسلم[16]، مستدرك الحاكم[17]، سنن أبي داود[18]، وغير ذلك من كتب الحديث.

كذلك اعتمد على كتب العقائد، ومنها كتاب التذكر بأحوال الموتى وأحوال الآخرة للقرطبي، وكتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد وغير ذلك، وأيضًا من كتب الفقه وأصوله، نجده قد نقل عن: الأم للشافعي، والاستذكار لابن عبد البر، وكتاب الشامل لابن الصباغ[19]، وغير ذلك، وأيضًا ومن كتب السير والمغازي، فقد استفاد الحافظ ابن كثير من الكتب[20]: كسيرة ابن اسحاق، ومغازي الواقدي، أو المغازي النبوية، ودلائل

النبوة للأصبهاني، كتاب الشفاء للقاضي عياض[21]، وغير ذلك من كتب التراجم ومعارف العامة. وخير مثال على ذلك ما ساقه أثناء كلامه على الآيات التي نزلت في شأن غزوة بدر[22]، وفي غزوة أحد[23]، وفي الحديبية[24]، وفي إجلاء يهود بني النضير[25]، وغير ذلك من الوقائع في عهده الميمون عليه الصلاة والسلام ويعتبر في ذكره لهذه الأخبار مقتصدًا بما تدعوا الحاجة إليه في التفسير وكثيرًا ما يحيل إلى كلامه على هذه الروايات وأسانيدها في كتابه **(البداية والنهاية)** [26]. ويذكرُ أن ابن كثير رحمه الله يتعامل مع آيات السيرة النبوية بأنه فسر أغلب آيات السيرة النبوية، ويعتمد في تفسير آيات السيرة النبوية على المصادر الأصلية المسندة، من كتب السِّيَر والمغازي، إضافةً لكتب السنة كالصحيحين، وكتب السنن، وغالباً ما يرجِّح قول ابن إسحاق عند الاختلاف بين أهل السير والمغازي، ويغفل ابن كثير ذكر المصادر الأصلية أحياناً، وينقل اختياره في تفسير الآيات مجملاً، ولعل هذا في المواضع التي يرى أنها لا تحتاج إلى مزيد توثيق، أو أن المفسرين متفقون على معناها[27].

المبحث الثاني: أهمية كتب التفسير في دراسة السيرة النبوية:

تتميز سيرة النبي ﷺ عن سيرة الأنبياء السابقين عليهم السلام بصحة المصادر التي تعتمد عليها، وأول هذه المصادر هو القرآن الكريم وقد سبق الحديث عن تكفل الله بحفظه وما بذله المسلمون على مر الأجيال في حفظ وتدوين النص القرآني، والمصدر الثاني هو الحديث النبوي، والسيرة النبوية، تميزت على غيرها من سير الأنبياء عليه السلام بأن مصادرها موثقة، وقد تحدث القرآن كثيرا عن سيرة والنبي ﷺ كذلك الأحاديث النبوية ولكن ما ورد من السيرة في كتب السيرة والتأريخ فإن العلماء قد تولوا تحقيقه وتمحيصه وبالطبع فيه الأخبار الصحيحة والضعيفة والموضوعة. ولم تحظ سيرة نبي من الأنبياء وبذل فيها جهد علمي مثل ما حظيت سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث تمثل السيرة النبوية الجانب العملي والتطبيقي المشرق للدين الإسلامي، كما تمثل جانبًا بيانًا مفصلًا لكثير من المسائل المذكورة في القرآن الكريم، مثل أوصاف المنافقين، وكيدهم للإسلام، ولنبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقصة الغزوات المختلفة، (بدر، وحنين، وتبوك، وغيرها)، وأحداث البيعة، وأحداث الهجرة، وقصة زواجه ﷺ، من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وصور من علاقاته بآل بيته ﷺ إلى غير ذلك من الأحداث، والقصص المذكورة في القرآن الكريم، والتي ترتبط بما ذكر في كتب السيرة النبوية الشريفة. وكتب التفسير لها منهجية خاصة عند تناولها لسرد وعرض السيرة النبوية ومن الممكن الوقوف على ذلك بشكل واضح من خلال جملة من الأمور أبرزها أن كتب التفسير الأصلية تعتمد على الأسانيد في رواياتها، وهذا الحال ينطبق على جميع الآيات ولا يقتصر على الخاص منها بالسيرة النبوية فقط[28].

لذلك قام الإمام بن كثير بتفسير أغلب آيات السيرة النبوية، وقد اعتمد على المصادر الأصلية المسندة عند تفسير آيات السيرة النبوية من خلال السير والمغازي، فضلًا عن كتب السنة النبوية كالصحيحين، وكتب السنن[29]. ورغم ذلك فأحيانًا ما كان يغفل ابن كثير عن ذكر المصادر الأصلية، وينقل اختياره في تفسير الآيات مجملًا[30]. وتتمثل أهمية السيرة النبوية الشريفة في معرفة تفاصيل حياته ﷺ، قبل البعثة وبعدها: الإرهاصات والظروف التي سبقت مولده ﷺ، وأحداث ميلاده ﷺ، ورضاعته، ونشأته، وتحنثه، وبعثته، ودعوته السرية والجهرية، وما نزل عليه من وحي في مكة أو في المدينة. وتظهر أهمية كتب التفسير في دراسة السيرة في كونها تمثل ضرورة حتمية كونها تمثل السيرة العملية والتفسير العملي للاقتداء به ﷺ، فهذا إلى

جانب أنه المبلغ عن ربه هذا الدين، النبي المرسل ﷺ، نبي الرحمة، ونبي الملحمة، فهو: الإمام، والقائد، والمجاهد، والقاضي، والمفتي، والمعلم، والزوج، والوالد، والجار، إلى غير ذلك، ولا يمكن أن يسد هذا الثغر سوى كتب السير والمفسرين، فالسيرة النبوية تمثل الميزان الذي توزن به الأعمال؛ فهي فرع متين من فروع هذا الدين تصور حياة رسول الله ﷺ وصفاته، وأخلاقهن وشمائله، وجهاده، وغزواته، ورحمته، وحلمه، وتشريعه، وغير ذلك.وتتمثل أهمية كتب التفسير في دراسة السيرة النبوية كذلك فيما تتركه عند القارئ والمطلع من راحة نفسية وطمأنينة روحية، وما يفيده منها من دروس وعبر؛ فهي تعمق الصلة والمحبة لرسول الله ﷺ، وبيته، وصحبه، وهديه.

المبحث الثالث: مرويات غزوة بدر:

تُعد غزوة بدر من أهمّ المعارك في تاريخ الإسلام، بل هي نقطة تحوّلٍ حاسمةٍ في مسيرة الدعوة الإسلامية، نُبحِر في هذا المبحث عبر مرويات الإمام ابن كثير رحمه الله، لنُسلّط الضوء على أحداث هذه الغزوة العظيمة، ونستكشف دروسها الخالدة.

شكلت غزوة بدر محطة هامة وخطيرة وحاسمة في تاريخ الإسلام، حيث قد تقرر على إثرها مصير الأمة الإسلامية، ومصير دعوة ناشئة كانت تبحث عن مجال لتوسيعها، وترغب فيمن ينصرها ويؤمن بمبادئها، وهذه الغزوة بلا شك قد مثلت حدث تاريخي بامتياز في حياة الإسلام وفي مسيرة المسلمين ككل، حيث أنها قد غيرت مجرى التاريخ كله، كما أنها قد منحت كذلك فرصة الانطلاقة القوية للدعوة الإسلامية، وبناء كيان المجتمع المسلم، ومن خلال استعراض أخبار غزوة بدر بكل أطوارها، وبعد الوقوف على مقدماتها ونتائجها، نجد أن لهذه الغزوة منزلة خاصة، كما أن الله سبحانه وتعالى قد أودع في فصولها سرا يكتنفه جلال الموقف وهيبة الحدث، وهو كذلك قدد جعل في طيات هذه المواجهة الحاسمة بين الفئة المؤمنة وبين الفئة الأخرى المناوئة لها، دروسا خالدة، هذه الدروس والعبر تتجدد ذكراها ما بقيت في الدنيا مواجهة بين الحق والباطل، واستمر صراع بين الخير والشر، وقد اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يلتقي فريقان على غير موعد، وله الحكمة فيما يدبر ويقدر سبحانه، فقد بدت فيه جميع المؤمنين قليلة العدد مع ضعف عدتهم، كما قد تكاثرت أعداد المشركين وقويت استعداداتهم، كذلك فقد واجه القائد الحكيم وهو محاط بأصحابه الكرام هذا التحدي الكبير بما تتطلبه اللحظة من إيمان قوي بالله، وثقة بوعده في نصر أوليائه، مع التفويض التام لما قضاه، والرضا بما اختاره، والاعتقاد الجازم بأن الخير كله فيما قدر وقضى، كذلك فقد نصر الله ببدر نبيه، صلى الله عليه وسلم، ومعه أعز جنده من الصحابة الكرام، ممن قد أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين، وبذلوا المهج والأرواح في سبيل إعلاء كلمته في الأرض، وقد تسابق الكهول والشباب في ذاك اليوم للفوز بالرضا والرضوان، ونيل الشهادة في سبيل الله، وقد كانت المسابقة على أشدها بين أخلاء، وبين أصدقاء، وبين إخوة أشقاء، فالذين شهدوا بدرا من أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، هم بحق صفوة الصحابة وخيارهم، نالوا هذه المزية السنية والفضل الكبير بما قدموه من التضحيات الجسام، وقد بذلوا في سبيل دعوتهم ومحبة نبيهم أغلى ما يملكون، ونجد أن هؤلاء البدريون كانوا وما يزالون يمثلون نجوما ساطعة في التاريخ الإسلامي، حيث قد تحقق النصر المبين بفضل الله على أيديهم، وتم بهم الفرقان بين الحق والباطل، والعزة والرفعة التي أدركهما الإسلام والمسلمون في جزيرة العرب.

أسباب غزوة بدر:

سبقت غزوة بدر مجموعة من سرايا على عير قريش التجارية إلى الشام؛ حيث قام بها الصحابة رضوان الله عليهم (من المهاجرين دون الأنصار) لاستعادة ما أخذته قريش من أموال المسلمين وأملاكهم التي تركوها في مكة، وهذه السرايا كانت لاسترداد حق اغتصب لا غارات سلب ونهب، وهذا ما يؤكده غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقتل (عمرو الحضرمي) على يد (عبد الله بن جحش) وذلك في إحدى هذه السرايا[31]، بينما لم تكن الحماسة التي كان يباشر بها شعائر الدين والطقوس الدينية لتحول بينه وبين إن يراقب خطوات أعدائه . وكان قد أرسل من قبل عدة حملات للغزو، وحتى يتابع عن كثب تحركات قريش بعث بعبد الله بن جحش على رأس تسعة جنود وأمرهم بالتوجه إلى نخلة[32] وهو واد يقع بين مكة والطائف[33]، وقد ثار النبي وأصحابه عندما قال: (**ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام**)[34]، وأبي هو وأصحابه اخذ أي شيء من الغنيمة حتى نزلت الآية [35]، (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ**) [36]، وتدل الآثار الصحيحة على إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخرج الخمس من الغنيمة ثم قسمها بين المقاتلين[37]، وهو ما ذكر ابن كثير، وكانت آية الخمس قد نزلت ضمن سياق الآيات في غزوة بدر[38]، وهي قوله تعالى: (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ وِلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى**)[39]، وقد علم النبي محمد صلى الله عليه وسلم: أن قافلة تجارية يقودها أبو سفيان ويحميها بين أربعين وسبعين رجلا قد خرجت لتجارة من الشام الى مكة، فقرر اعتراضها لتوجيه ما يعرف بأيامنا هذه بضربة عسكرية لمناوئية بهدف إضعاف كفار قريش من الناحية العسكرية ومن الناحية الاقتصادية؛ حيث قد أرسل لذلك العيون لتسقط أخبار تلك القافلة ومعرفة من فيها حرصًا منه على تحليل عناصر المعركة قبل القيام بها، فالضربة التي تنزل بأهل مكة موجعة، وفيها كذلك عوض كامل لما لحق المسلمين من خسائر في أثناء هجرتهم الأخيرة، وبناء على ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد أورد بن كثير هذه الرواية ورجحها[40]: (**هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها**)، ولم يعزم الرسول على أحد بالخروج ولم يستحث متخلفاً، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة ثم سار بمن أمكنه الخروج، كما كان الذين صحبوا الرسول ﷺ هذه المرة يحسبون أن مضيهم في هذا الوجه لن يعدوا ما ألفوا في السرايا الماضية، ولم يَدُرْ بخلد واحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة، ولما سمح لمسلم أن يبقى في المدينة لحظة؛ لذلك فترت الهمم عندما وردت أخبار أخرى بأن القافلة المطلوبة غيرت طريقها، واستطاع قائدها أبو سفيان أن ينجو من الخطر المحدق به، بعد أن أرسل إلى أهل مكة يستنفرهم لحماية أموالهم، ويستثير حميتهم للخروج في تعبئة ترد كل هجوم، وغالب النبي ﷺ هذا الفتور العارض، وحذر صحابته من عقبي العود السريع للمدينة أن فاتهم مال مكة وخرج إليهم رجالها وأصر على ضرورة تعقب المشركين كيف مانوا، وذلك قوله تعالى: (**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**) [41]، والذين كرهوا لقاء قريش ما كانوا ليهابوا الموت، لكنهم لم يعرفوا الحكمة في خوض معركة مباغتة من غير إتقان ما ينبغي لها من عدة وعدد، بيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزن الظروف الملابسة للأمر كله، حيث وجد الإقدام خير من الإحجام، ومن ثم قرر أن يمضي، فالحكمة من توجيه هذه البعوث المسلحة تضيع سدي لو عاد على هذا النحو قاصدًا أو نزهة لطيفة، فالمسافة بين المدينة وبدر تربوا على 160 كيلو

مترًا، ولم يكن مع الرسول وصحبه غير سبعين بعيراً يتعاقبونها، ثم أذن بالقتال[42]، قال جل جلاله: (**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)[43]، ذكر ابن كثير قال العوفي عن ابن عباس: نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة، وقال مجاهد والضحاك، وغير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم: هذه أول آية نزلت في الجهاد[44].

معرفة أحوال قريش قبل معركة بدر:

ذكر ابن كثير أنه قد ظفر المسلمين برجلين من قُريش يقفانهم على أخبارهم، قال ابن إسحاق: ثُم رَجَعَ رسول الله إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبيِ طالب، والزُّبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، ﷺفي نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه كما حدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما إذ لقوهما، قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله وسجد سجدتيه، ثم سلم، وقال: (**إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش، أخبراني عن قريش؟**)، قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى، بالعدوة القصوى (والكثيب: العقنقل) ، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**كم القوم؟**)، قالا: كثير، قال: (**ما عدتهم؟**)، قالا: لا ندري، قال: (**كم ينجرون كل يوم؟**)، قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فقال رسول الله ﷺ: (**القوم فيما بين التسع مئة والألف**)، ثم قال لهما : (**فمن فيهم من اشراف قريش؟**)، قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، نبية ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: (**هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها**)[45].

بناء العريش لرسول الله ﷺ :

ذكر ابن كثير فيما أورده أنه بعد أن استقر المسلمون في موقعهم تقدم سعد بن معاذ ﷺ إلى رسول الله ﷺ وقال: "يا نبي الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم: يناصحونك ويجاهدون معك" فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ثم بنى لرسول الله علية الصلاة والسلام عريشا مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة وقد تم انتخاب فرقة من شباب الأنصار لحراسة النبي ﷺ حول مقر قيادته في العريش بقيادة سعد بن معاذ ﷺ، وفي غزوة العشيرة[46] أن عيرا لقريش أفلتت من النبي ﷺ في ذهابها من مكة إلى الشام، ولم قرب رجوعها من الشام إلى مكة بعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ﷺ إلى الشمال، ليقوما باكتشاف خبرها، فوصلا إلى الحوراء[47]، ومكثا حتى مر بهما أبو سفيان بالعير، فأسرعا إلى المدينة، وأخبرا رسول الله ﷺ بالخبر.

كانت العير مركبة تحمل من ثروات طائلة من أهل مكة علىألف بعير موقرة بالأموال، لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي، ولم يكن معها من الحرس إلا نحو أربعين رجلاً؛ لذلك أعلن رسول الله ﷺ في المسلمين قائلاً: (**هذه عير قريش فيها أموالهم، فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**)[48]، ولم يعزم على أحد بالخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، لما أنه لم يكن يتوقع عند هذا الانتداب أنه سيصطدم بجيش مكة – بدل العير- هذا الاصطدام العنيف في بدر، ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة، وهم يحسبون أن مضي رسول الله في هذا الوجه لن يعدو ما ألفوه في السرايا الماضية، ولذلك لم ينكر على أحد تخلفه في هذه الغزوة[49].

السبب المباشر لغزوة بدر:

خرجت قريش بأعظم عير لها سنة 2هـ ، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية إلا بعث بماله فيها، وكان فيها (29) رجلًا على رأسهم أبو سفيان، حيث علم النبي ﷺ بخروجهم، فرأى أن يضعف قدرتهم المالية والنفسية بالاستيلاء على عيرهم، حتى يشعروا بقوته وضعفهم، ومن ثم لا يتكالبوا على القضاء على دين ربه، فلما علم الرسول ﷺ بعودتها من الشام في طريقها لمكة وفيها أموالهم الكثيرة، قال لأصحابه: (**أخرجوا إليها لعلها تكون نفلا لكم**)، فخف بعضهم وثقل البعض الآخر، لأنهم ظنوا أن النبي ﷺ لا يلقى حربًا، فخرج النبي بمن خف معه لثماني ليال خلون من رمضان، وقيل: 12 ليلة منه، ثم عسكر بمكان يبعد مسافة ميل عن المدينة يسمى بئر عنبة[50]، وقد عرض الجنود فرد من لا يصلح للقتال منهم، وعد الباقي فوجدهم 313 رجل بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر وانتصروا على أعدائهم ففرح النبي ﷺ بذلك، وقد سار ﷺ بهم حتى وصل لوادي ذَفِرَانَ[51] فنزل به، ثم جاءه خبر مسير قريش لحماية عيرهم، حيث بلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ يريده، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري[52] بعشرين مثقال حتى يستنفر قريش، فلما بلغ مكة جعل يصرخ من فوق بعيره، وقد شق قميصه وجدع أنف البعير، وكان يقول في صراخه: يا معشر قريش.. اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان عرض لها محمد في أصحابه.. الغوث الغوث، فتجهز الناس سراعا، ولما كان النبي ﷺ بوادي ذفران علم بمسير قريش لحماية عيرها، فقال لأصحابه: (**إن الله وعدني إحدى الطائفتين العير أو النفير**) [53]، وكان التوجه إلى العير أحب إلى بعضهم، ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح، فقالوا: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتبا لهم: (**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**) [54]، وقد تكلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا الكلام، وقال المقداد بن الأسود[55]: يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: (**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**)، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[56][57]، لجالدنا معك من دونه، حتى نبلغه، فدعا له بخير وأثنى عليه. وكان الأنصار قد قالوا في بيعتهم بالعقبة: يا رسول الله إنا برآء من ذمتك حتى تصل إلينا، فخاف النبي ﷺ أن لا يروا وجوب القتال خارج المدينة، فلهذا خاطبهم قائلًا: (**أشيروا علي أيها الناس**)، فقال سعد بن معاذ ﷺ -سيد الأوس -: "كأنك تريدنا يا رسول الله"، قال: (**أجل**)، قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف

منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى، فسر النبي ﷺ ونشط وقال: (**سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**)، ثم ارتحل ونزل قريبا من بدر. ولما نزل النبي ﷺ بالقرب من بدر علم أبو سفيان بذلك، فاتجه بعيره نحو الساحل حذرا من لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان جيش قريش قد نزل بالجحفة[58]، فبعث اليهم أبو سفيان، لقد نجوت بعيركم وأموالكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم بها ثلاثا، فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتتسامع بنا العرب فيها بوننا، فبلغ ذلك أبا سفيان فقال: هذا بغي والبغي وخيم العاقبة، ثم سار جيش المشركين حتى نزلوا بعدوة بدر القصوى[59] من المدينة، فعلم النبي ﷺ بما كان من أمرهم، فأقبل على جيشه قائلا: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها، ثم سار بهم حتى نزلوا بعدوة بدر الدنيا من المدينة، بعيدا عن الماء في أرض سبخة في غير مصلحتهم، وقد أصبحوا عطاشا، فوسوس إليهم الشيطان إنهم سيموتون عطشا، وسيتمكن المشركون منهم، ولكن الله ثبتهم بفضله، وغشاهم بالنعاس ثم أنزل عليهم مطرا سال به الوادي، فشربوا وملأوا حياضهم وأسقيتهم، وتلبدت الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام، وكان الأمر بالعكس على المشركين، حتى لم يعودوا قادرين على الارتحال[60]، وفي ذلك يقول الله تعالى: (**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**)[61]. وقد بات النبي ﷺ بأصحابه حيث نزلوا، ولما أصبح بهم الصبح، ثم سار بهم حتى نزل بأدنى ماء من بدر، فقال الحباب بن المنذر الأنصاري[62]، وكان معروفا بجودة الرأي في الحرب: "أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرأي والحرب والمكيدة"، فقال ﷺ: (**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**)[63]، قال: "يا رسول الله؛ ليس هذا بمنزل، فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون"، فاستحسن النبي ﷺ رأيه، ونفذ ما أشار به الحباب، ثم بنى للرسول عريشا فوق تل مشرف على المعركة، فكان فيه مع أبي بكر، وقام سعد بن معاذ متوشحا بالسيف على باب العريش. وبعد أن نزلت قريش بالعدوة القصوى باتوا بها ثم أصبحوا، فأقبلوا على وادي بدر في خيلاء وفخر، فلما رآهم النبي ﷺ قال: (**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني**)[64]، ولما اطمأنت قريش في وادي بدر، بعثوا عميرا بن وهب الجمحي ليقدر جيش المسلمين، فلما عاد أخبرهم أنهم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون، ولكني رأيت نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، يتلمظون تلمظ الأفاعي، لا يريدون العودة إلى أهليهم، ليس لهم ملجأ إلا سيوفهم، إلى آخر ما قال، فنصحهم حكيم بن حزام[65] بالعودة دون قتال، ولكن أبا جهل أصر على المواجهة قائلا: "لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وقال آخرون: غر هؤلاء دينهم وتعبئوا للقتال، وكما أراهم الله للمشركين قليلين، أرى الكافرين للمؤمنين قليلين، ليقبلوا على لقائهم في ثقة وطمأنينة، وفي ذلك يقول الله تعالى: (**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً**) [66]، قال ابن كثير: "ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي لجبنتم عنهم، واختلفتم فيما بينكم، ولكن الله سلم أي من ذلك، بأن أراكهم قليلا إنه عليم بذات الصدور أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه الأحشاء، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور"[67].وفي اليوم السابع عشر من رمضان خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد، ودعا إلى

المبارزة، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا لهم: أنتم أكفاء كرام، ونحن نريد قومنا- يقصدون المهاجرين- فأمر النبي ﷺ برجوعهم إلى مصافهم، وأن يخرج إليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فبارز عبيدة عتبة وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد، فقتل حمزة وعلي غريميهما فورا، وأصاب كل من عبيدة وعتبة صاحبه ولم يقتله، فحمل علي وحمزة على عتبة فأجهزا عليه، وحملا صاحبهما إلى النبي ﷺ فأفرشه قدمه، وبشره بالشهادة، وبعد هذه المبارزة تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، فجعل النبي ﷺ يعدل صفوف أصحابه، ثم رجع إلى عريشه، وقال: (**اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد**"[68]. وقد رجح ابن كثير أن المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وأبي نضرة ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم، وحجتهم في هذا أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها إلا عصابتهم تلك كما قال النبي ﷺ «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**»[69]. وقد سر الرسول صلي الله عليه وسلم فقال: (**سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم**)[70].

خرجت قريش لملاقاة المسلمين مزهوة بقوتها في ألف مقاتل لكن نبي الهدى وزع الأدوار فالقائد العام هو مصعب بن عمير أما راية المهاجرين (العقاب) فقد تولاها علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وراية الأنصار كانت لسعد أبن معاذ قيادة الميمنة للزبير بن العوام والميسرة للمقداد بن عمرو والمؤخرة لقيس ابن صعصعة[71] رضي الله عنهم أجمعين[72].

وانطلق الرسول صلي الله عليه وسلم بجيشه إلى بدر فوصل المرتفعات الشرقية لبدر، قال تعالي: ﴿**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ**﴾ [73].

وقد رجح ابن كثير أن الله تعالى مخبرا عن يوم الفرقان إذ أنتم بالعدوة الدنيا أي إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، وهم أي المشركون نزول بالعدوة القصوى أي البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، والركب أي العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة، أسفل منكم أي مما يلي سيف البحر، ولو تواعدتم أي أنتم والمشركون إلى مكان لاختلفتم في الميعاد[74].

موقف إبليس من غزوة بدر:

قال الله تعالى:﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [75].

تحذر الآية المؤمنين أن يتشبهوا بأولئك الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ومفاخرة واذكروا وقت أن زين لهم الشيطان أعمالهم في معاداتكم بأن زين لهم بأنهم على الحق وأنتم على الباطل، وحسن لهم ما جبلوا عليه من غرور ومراءاة، وأوهمهم بأن النصر سيكون لهم عند لقائكم، بأن قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، أي: لن يغلبكم أحد من الناس، لا محمد ﷺ واصحابه، ولا غيرهم من قبائل العرب وإني مجير ومعين وناصر لكم من كل عدو، ومعنى الجار هنا: الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار[76].

وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ**﴾ [77].

قوله: (**تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ**)، أي التقى الجمعات[78].

و(قوله): (**نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**)، أي: ولى هاربًا وراجعًا القهقري وأبطل كيده وذهب ما مناهم به من النصرة والعون، يقال: نكص عن الأمر نكوصًا ونكصا أي تراجع عنه وأحجم والعقب مؤخر القدم.

و(قوله): (إني بريء منكم)، أي: تبرأ منهم لما رأى أمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله لهم بالملائكة.

و(قوله): (إني أرى مالا ترون)، أي: من الملائكة النازلة لتأييد المؤمنين مالا ترونه أنتم.

و(قوله): (إني أخاف الله)، قيل: خاف أي يصاب بمكروه من الملائكة الذين حضروا الواقعة، وقيل إن دعوى الخوف كذب منه، ولكنه رأى أنه لا قوة له ولا للمشركين فاعتل بذلك»[79].

و(قوله): (والله شديد العقاب)، لمن عصاه وخالف أمره[80].

وقد أورد ابن كثير ما روي عن ابن عباس قال: «جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته، في صورة رجل من بني مدلج، في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[81]، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع يده ثم ولى مدبرا، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب، وذلك حين رأى الملائكة»[82].

أما بالنسبة إلى كيفية تزيين الشيطان للمشركين، فقد اختلف المفسرون فيها وقد رجح ابن كثير أن التزيين كان حسيًا، بمعنى أن الشيطان تمثل لهم في صورة إنسان[83]، يقول ابن كثير: وقوله تعالى: (**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**)، الآية: أي حسن لهم ما جاءوا له، وما هموا به وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم سيد بني مدلج....ثم قال: فلما رأى إبليس الملائكة، (**نكص على عقبية**)، وقال إني بيئي منكم إني أرى مالا ترون، وهو في صورة سراقة وأقبل ابو جهل يحض أصحابه ويقول لهم: لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم، فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه[84]، فقد سار ابن كثير في تفسيره للآية على أن التزيين من الشيطان كان حسيًا، وأهمل القول بخلاف ذلك، والسبب في تصور إبليس بصورة شراقة بن مالك أن المشركين حين ارادوا المسير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة، لِأنهم كانو قتلوا منهم واحدًا، فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتصور لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بين بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من الشياطين، ومعه راية وقال: (**لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم**)، أي: مجيركم من بني كنانة فلما رأى إبليس نزول الملائكة نكص على عقبيه[85]. والحكمة من تصور إبليس بصورة سراقة بن مالك لإظهار المعجزة العظيمة للرسول ﷺ وذلك أن كفارً قريش لما رجعوا إلى مكة: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال والله ما شعرت بمسيركم، حتى بلغتني هزيمتكم، فعند ذلك تبين للقوم أن ذلك الشخص ما كان سراقة بل كان شيطانًا[86].

فبعد مراجعة أقوال المفسرين في تفسيرهم لكيفية تزيين الشيطان للمشركين، نجدهم ينقسمون إلى قسمين:

الأول: يرون أن التزيين كان حسيًا، بمعنى أن الشيطان تمثل للمشركين في صورة إنسان، وأهمل القول بأن التزيين لم يكن حسيًا، ومن هؤلاء ابن كثير، وابن جرير، والسيوطي، والقرطبي، وجمهرة المفسرين.

الثاني: يرون أن التزيين كان لم يكن حسيًا، بل كان عن طريق الوسوسة، وأن الشيطان ما تمثل للمشركين في صورة إنسان ومنهم محمد رشيد رضا.والذي نؤمن به أن الشيطان كان له دور في المعركة أثبته القرآن الكريم وهو أنه زين للمشركين أعمالهم، وأنه قد قال لهم ما قال، مما حكاه القرآن الكريم عنه، وأنه نكص على عقبيه...إلا أننا لا نستطيع أن نجد كيفية ذلك.وقد تشبث به الحارث بن هشام، وهو يرى أن سراقة لما سمع من كلامه، فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يرى حتى وقع في البحر، ورفع يديه، وقال: يارب، موعدك الذي وعدتني! وأقبل أبو جهل على أصحابه، فحضهم على القتال، وقال: لا يغرنكم خذلان سراقة بن جعشم إياكم، فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه[87]. وقد رجح ابن كثير هذا فذكر رواية مالك بن أنس: عن إبراهيم بن أبي علية، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: «ما رأى إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة، وذلك مما يرى من نزول الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر» قالوا: يا رسول الله وما رأى يوم بدر؟ قال: «أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة» [88].

شهود الملائكة غزوة بدر:

قال ابن كثير: «وقوله إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن إسحاق: وازروهم. وقال غيره: قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فيقول سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم حكاه ابن جرير وهذا لفظه بحروفه»[89].

قال تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**)[90]. وقد ذكر ابن كثير ما رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (**لما كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني**)[91]، وفيه أنزل الله: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**)[92]، فأمده الله بالملائكة، وهذه الرواية تخالف الرواية الأولى في عدد جيش المسلمين والمشركين، لأنه تقريبي ولم يكن الغرض الأساسي من إمدادهم بالملائكة أن يقاتلوا دونهم، بل تثبيتهم وإلقاء الرعب في قلوب المشركين بتكثير عدد المؤمنين وقت المعركة، بعد أن قدروهم قليلين قبلها، وقد ذكر ابن كثير رواية الإمام البخاري كتاب المغازي باب قول الله تعالى: إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم- إلى قوله-إن الله شديد العقاب، حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: (**لا نقول كما قال قوم موسى فاذهب أنت وربك فقاتلا**)، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك

فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله، حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك فخرج وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر»[93]، ولهذا قال تعالى: (**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**)، ولو كان نزولهم لغرض القتال، لكان ملك واحد كافيا في إبادة المشركين، كما حدث لقوم صالح، ويشهد لذلك قوله تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**) [94]، ولهذا استطاع المؤمنون أن يحرزوا النصر في جو من الطمأنينة، واستحقوا كما أورد ابن كثير أن يقول الرسول ﷺ فيهم: (**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**)[95]. وقد ورد في فضائل أهل بدر آثار، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: (**لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية**)[96]، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب: "وما يدريك لعل الله اطلع علي أهل بدر، فقال: (**اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**)[97]، وفي رواية في "البخاري" [فقد] وجبت لكم الجنة[98]، نعم فكما حصلت المزية للذين شهدوا بدرا من البشر، كذلك حصلت لمن شهده من الملائكة المكرمين، عليهم الصلاة والسلام، [و] عدة من شهده منهم خمسة آلاف، كما قال تعالى: (**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**) ، وقاتلوا فيه، وكانوا يكونون في غيره من المشاهد مددا للمسلمين. وقد أورد الإمام ابن كثير جملة من الأحاديث في ذلك منها: ما رواه البخاري: باب شهود الملائكة بدرا. حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة[99]. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة[100] «**إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[101]. وروى البخاري من حديث معاذ ابن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: "**ما تعدون أهل بدر فيكم؟**" قال: من أفضل المسلمين – أو كلمة نحوها- قال: "**وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**"[102]، وهذا مما ورد في فضل من شهد بدراً من الصحابة – رضي الله عنهم أجمعين - وقد تقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة التراضي عن الصحابة أجمعين، والشهادة لهم بالعدالة لتعديل الله لهم في كتابه ونبيه ﷺ في سنته، والسكوت عما شجر بينهم، وأنهم فيما وقع بينهم أحد رجلين: إما مجتهد مصيب له أجران، أو مجتهد مخطئ له أجر واحد، كما قرر ذلك علماء أهل السنة في هذا الباب، فهذا أصل عام في الصحابة الكرام ﷺ، وهو يعد حاجزاً مانعاً من الكلام فيهم أو الطعن فيهم. ومما يعد كذلك كالحاجز والمانع من الكلام فيهم أو الطعن فيهم كون هذا الصحابي قد حضر وشهد بدراً، ولذلك أئمة الحديث والسيرة بجمع أسمائهم، ومن ثم جمع أسماء من حضر بدراً، علماً أن معرفة ذلك له فوائد كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

– العلم بصحابة رسول الله ﷺ.

– تنزيلهم منزلتهم.

ويترتب على الأمر الثاني، أن نكون الحب بما يخصهم، ويؤيد هذا ما ورد في تخصيص أهل بدر. وفي كتب السنة جملة من الأحاديث؛ منها ما ذكره البخاري في كتاب المغازي/ باب فصل من شهد بدراً، وفي

جميعها يقول الحافظ أن الغرض من ذكر الحديث قوله: (**وكان شهد بدراً**)، والإشارة إلى ذلك فيها تنصيص على مكانتهم وعلو منزلتهم ورفعتها، ويدل لذلك أيضا ما رواه البخاري أن عطاء البدريين كان خمسة آلاف، خمسة آلاف، وقال عمر: «لأفضلنهم على من بعدهم»[103]. وفي تلك الأثناء أرسل الله تعالى ملائكته مدداً من السماء وأوحى إليهم أن ثبتوا الذين آمنوا، قال ابن كثير: «أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيِّه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا... أي ثبتوا أنتم المسلمين وقووا أنفسهم على أعدائهم»[104]، فمعنى التثبيت هنا هو تقوية قلوب المؤمنين، حيث يصيبها ما يصيب قلوب الناس وقت المعركة غير المتكافئة، وقد وصف الله تعالى شيئاً مما يحصل للقلوب في مثل هذا الظرف، قال تعالى: (**إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**)[105].

فتكون تلك القلوب بحاجة إلى ما يثبتها ويقويها ويحفزها للإقدام برغم صعوبة المعادلة المادية: "فإنَّ الله إذا ثبَّت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين؛ لم يقدر الكافرون على الثبات لهم، ومنحهم الله أكتافهم"[106]، وقيل في طريقة تثبيت الملائكة للمؤمنين يوم بدر: «أن الملك كان يشبَّه بالرجل الذي يعرفون وجهه، فيأتي الرجلَ من أصحاب النبي ﷺ فيقول: (**إني قد دنوت من المشركين، فسمعتهم يقولون: والله لئن حملوا علينا لنكشفنَّ. فتحدَّث بذلك المسلمون بعضهم بعضاً، فيقوِّي أنفسهم ويزدادون جرأة**)[107]. ومهما كانت طريقة التثبيت فإنَّ الأمر الإلهي: (**فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا**)، أتى مطلقاً، أي: قووا قلوب المؤمنين بما تتقوى قلوبهم به، قال البقاعي: «أي بأنواع التثبيت. من تكثير سوادهم، وتقوية قلوبهم، وقتال أعدائهم، وتقليلهم في أعينهم، وتحقير شأنهم"[108]، والغرض منه غرس الشعور بالقوة والنصر، قال ابن عاشور رحمه الله: «وتثبيت المؤمنين إيقاع ظن في نفوسهم بأنهم منصورون"[109].

فإذا ثبتت قلوب المؤمنين لم يبق لهم سوى الظفر بأعدائهم الذين ألقى الله الرعب في قلوبهم فكان الرعب سبباً لهزيمتهم؛ كما أنَّ ثبات قلوب المؤمنين هو السبب الآخر: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْـمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ**[110]،إن المؤمنين وهم يقاسون لأواء الصراعات والمعارك ضد أعداء الله لأحوج ما يكونون إلى تثبيت قلوبهم وبعث الأمل والتفاؤل فيها، فإن ثبات القلب أصل ثبات الأقدام، وعلى قوة القلب وضعفه وشجاعته وخوره تكون نتيجة المعركة ومآلات الصراع، ولقد ربى رسول الله ﷺ على هذا الهدي، فكان في أوج المحنة تبرق أسارير وجهه ابتهاجاً بنصر الله المأمول؛ كما حدث ذلك في غزوة الخندق «عندما واجهت الصحابة صخرة عجزوا عن كسرها أثناء الحفر؛ ضربها الرسول ﷺ ثلاث ضربات ففتتها، وقال إثر الضربة الأولى: الله أكبر! أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة. ثم ضربها الثانية، فقال: الله أكبر! أُعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض. ثم ضرب الثالثة، وقال: الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة. وهكذا بشرهم بما سيكون من فتوح لهذه البلدان؛ وهم محصورون في خندق، يقرصهم البرد والجوع[111]، لم تكن هذه الصفة في رسول الله ﷺ فلتة نادرة، بل هي هدي له تكرر منه في مختلف الوقائع والأحداث.

وقد اتفق العلماء على إمداد الله سبحانه للمسلمين يوم بدر بالملائكة، وذلك لقوله سبحانه: ﴿**إِذ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فَٱستَجَابَ لَكُم ....** ﴾ [112]، **وقوله:** ﴿**إِذ تَقُولُ لِلمُؤمِنِينَ أَلَن يَكفِيَكُم أَن يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰف مِّنَ ٱلمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾[113].وقد حصل هذا الإمداد على مرات بألف أولاً، ثم بثلاثة آلاف، وبذلك

تكمل الآيات بعضها بعضًا، ولكنهم اختلفوا، أحصل قتال من الملائكة أم لا؟ فذهب الكثيرون إلى حصول القتال فضلا عن البشرة والتثبيت بإبقاء الخواطر الحسنة في قلوب المسلمين. وقد استدلوا بالأحاديث والآثار الواردة في هذا، فقد أورد ابن كثير ما رواه ابن اسحاق عن ابن عباس قال: «لم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون عددًا ومددًا لا يضربون»[114]، وابن عباس لم يكن حضر الموقعة يومئذ لصغره وعدم هجرته، فلا بد أن يكون سمع ذلك من رسول الله ﷺ فيما يعد، أو من مشيخة المهاجرين والأنصار، وذهب البعض إلى إلى أن الملائكة لم تقاتل يوم بدر، بل كانت عونًا ومددًا، تثبت القلوب، وتبشر بالنصر، وتكثر العدد، واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ**﴾[115]، فقد ذكر الله هاتين الآيتين بعد آيات الإمداد، وقالو: إن الخطاب في قوله سبحانه: ﴿**فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ**﴾[116]، إنما هو حكاية لما أمر الله الملائكة أن يلقوه إلى المسلم يوم بدر، وقال تعالى: « ﴿**إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ.....**﴾ [117]، وفي مثل هذا روي: نزلت الملائكة يوم بدر عليهم عمائم صفر[118].

وما يؤكد نزول الملائكة يوم بدر:

أخذ رسول الله ﷺ إغفاءة، ثم رفع رأسه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل، على ثناياه النفع، أي: الغبار، وفي رواية إسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع**"[119]، وقد قال تعالى: ﴿**إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾ [120]، وقد ذكر ابن كثير خلاف المفسرين في هذا الوعد، هل كان يوم بدر أو يوم أحد؟ على قولين [**الأول**] أن قوله: إذ تقول للمؤمنين متعلق بقوله: ﴿**وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ**﴾ [121]، وروي هذا عن الحسن البصري وعامر الشعبي والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير [122].

وقال ابن كثير فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول، وبين قوله تعالى في قصة بدر؟ فالجواب أن التنصيص على الألف- هاهنا- لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها، لقوله: مردفين بمعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران. فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، وهذا ما رجحه ابن كثير.

القول الثاني: أن هذا الوعد متعلق بقوله: ﴿**وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ**﴾ [123]، وذلك يوم أحد وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك والزهري وموسى بن عقبة وغيرهم. لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة آلاف لأن المسلمين فروا يومئذ، زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف لقوله تعالى: بلى إن تصبروا وتتقوا فلم يصبروا بل فروا فلم يمدوا بملك واحد[124].

إنزال النعاس والمطر على المسلمين:

أنزل الله سبحانه وتعالى على المسلمين ليلة بدر النعاس والطمأنينة وربط على قلوبهم وثبت أقدامهم، وفي هذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى إذا اختار أمرًا لعباده ايدهم وأعانهم على تنفيذه، وكذلك كل التكاليف، قال تعالى: (**إذ يغشيكم النعاس أمنة منه**)[125]، كما أن الله تعالى قد ألقى في قلوب المشركين الرعب، وأنزال الملائكة تقاتل مع المؤمنين أعدائهم، قال تعالى: (**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم**) [126]، وقال تعالى: (**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**)[127]، ومن التأييد الإلهي لعباده أن الله تعالى قلل المشركين في أعين المسلمين وقلل المسلمين في أعين المشركين، قال تعالى: (**إذ يريكهم الله في منامك قليلًا**)[128]، ومعنى

الآيتين أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى المشركين في منامه قليلًا، فقص ذلك على اصحابه فكان ذلك سببًا لثباتهم، ووجه الحكمة في تقليل المسلمين في أعين المشركين هو أنهم إذا رأوهم قليلًا أقدموا على قتالهم غير خائفين ولا مبالين بهم، ولا آخذين الحذر منهم، فلا يقاتلون بجد واستعداد ويقظة وتحرز، ثم إذا ما التحموا بالقتال فعلًا تفجوئهم الكثرة فيبهتون ويهابون، وتكسر شوكتهم حين يرون مالم يكن في حسابهم وتقديرهم، فيكون ذلك من اسباب خذلانهم وانتصار المسلمين عليهم[129]. ومن التأييد الإلهي في غزوة بدر أن الله سبحانه بشر المسلمين بهزيمة قريش قبل بدء المعركة، قال تعالى: **(سيهزم الجمع ويولون الدبر)**[130]، كما بشر ﷺ أصحابه بقتل صناديد قريش، وحدد مكان قتال كل واحد منهم، كما كان يبشر المسلمين بالنصر قبل بدء القتال اتباعًا للمنهج القرآني فيقول: (**أبشر أبا بكر**)، ووقف يقول للصحابة: (**والذي نفس محمد بيده! لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**)، وقد دعا الرسول ﷺ للمسلمين بالنصر، فقال: (**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني**)[131]، وكل هذه البشريات قد زادت في نشاط المسلمين واندفاعهم نحو القتال فكان النصر حليفهم.

نزول المطر:

خلق الله الأرض وأرثنا ما عليها ووعدنا وعده الصادق أن يمكن لنا فيها بالغلبة والعزة، فمن رحمة الله بنا أن سخر لنا صناعة الأسلحة، ومهد لنا الأرض قرارًا نقاتل عليها في ثبات، وهيأ لنا جنودًا من عنده، لا يعملها، إلا من غمر الله قلبه بالإيمان وأمده بنور من نوره فيرى ببصيرة وفراسة المؤمن، وقد ظهرت في غزوة بدر كثير من هذه المشاهدات، وقد نزل المسلمون في بادئ الأمر بطرف الوادي الأدنى إلى المدينة بعيدًا عن الماء، وعلى كثيب رملي تسوخ فيه الأقدام، فتضرروا من ذلك كثيرًا، فعانوا من نقص الماء، وأصابهم بعض الهم، ووجد الشيطان سبيله إليهم بالوسوسة والشك، وزين لهم أفضلية الكفار بنزولهم على الماء، قال ابن كثير: «فنزل النبي ﷺ والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة، فأصحاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، يوسوسهم: «تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم كذلك»[132].

وفي المساء أمطرت السماء مطرًا واحدًا كان نعمة ومددًا وعونًا للمسلمين، فشربوا وتطهروا منه، ثَّبت لهم الأرض تحت اقدامهم، وأذهب الله به عنهم رجس الشيطان ووسوسته، وسجعهم وملأ قلوبهم قوة ونشاطًا، فسابقوا الكفار إلى خير منزل في الوادي بأدنى ماء بدر، وكان المطر على المشركين نقمة ووابلًا جارفًا عرقل مسيرهم ومنعهم من التقدم، فلم يتمكنوا من الوصول إلى الماء، قال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ عَلَيكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ**﴾، فمن منافعه وفوائده لهم تطهير أعضائهم فاغتسلوا وتوضؤوا وذهب به وسواس الشيطان عن نفوسهم، وثبت به اقدامهم على أرض المعركة فلا تسوخ فيها، وغرس به في قلوبهم الثبات فصبروا في مواجهة الكفار. وبهذه المعاني كان المطر جيشًا من جيوش الله، وسلاحًا ظاهرًا انتفع بن المؤمنون، فمهد لهم الموقع الاستراتيجي للقتال، وذخيرة معنوية وتأييدًا إلهيًا باطنيًا جعل الله فيه من اسراره قوة تقوى المسلمون بها، فبدت عليهم الشجاعة والثبات والحيوية والنشاط، وتسلية وترويحًا أزال الله تعالى به مافي نفوسهم من الهم والغم فأصبح بردًا وسلامًا عليهم، ازدادوا ثقة ويقينًا بالله ونصره الذي وعدهم، بينما كان وقعه على المشركين

مؤلمًا وشديدًا ووابلًا جارفًا عرقل سيرهم ومنعم من التقدم فلم ينتفعوا به كان نقمة عليهم، فأصابهم العطش، وجرفت المياه الأرض تحتهم، فتعثرت أقدامهم وتعرقلت حركاتهم، وتغلغل تأثيره فيهم فملكهم الإحباط والفشل وامتلات قلوبهم رعبًا وخوفًا، ورجعوا إلى نفوسهم ورددوا عبارتهم السابقة: أنهم إن كانوا يقاتلون رب محمد فلا حول ولا قوة لهم بذلك»، ولكن أعماهم الغرور عن إدراك حقيقتها فظنوا أن المسلمين هم الأقل فلا قبل لهم بمقاتلتهم، وأنهم هم الغالبون بلا شك، ولربما كانت طبيعة الأرض التي نزل المشركون بها أرض رملية وتحتها طبقة طينية فعندما نزلت عليهم السيول جرفت الرمال فاصبحت الأرض زلقًا تحت اقدامهم، وتسبب ذلك في عرس الإحباط والفشل في نفوسهم، وعدم القدرة على الحركة والسرعة في القتال.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾[133]، قال ابن كثير: «يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم أمانا أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد، كما قال تعالى:﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾[134].

قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد، ولقد سقط السيف من يدي مرارا يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحجف.وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي عن شعبة عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي ﷺ قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح. وقال سفيان الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: النعاس في القتال أمنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان، وقال قتادة: النعاس في الرأس، والنوم في القلب»[135].

ويقول الباحث: إن أعداد الصفوف بدا ليلًا، ثم صفهم ﷺ في الصباح حال القتال أيضًا وقد خاض النبي صلى الله عليه وسلم القتال بتكتيك الصفوف على عكس المشركين الذين اعتمدوا على نظام الكر وافر، لذل فإن وقوع النعاس أمنة كان حال القتال بدليل حديث أبي طلحة المتقدم وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه: «النعاس في القتال أمنة من الله، والنعاس في الصلاة من الشيطان»[136]، بمعنى أن النعاس في أي حال غير القتال فلا أمن فيه، ومن المؤكد أن غشيان النعاس للمؤمنين يوم بدر كان بغرض الأمن والطمأنينة، وهم لذلك أحوج حين المصافاة، وحديث أبي طلحة لم يحدد وقت النعاس، وقد صفهم النبي صلى الله عليه وسلم مرة بالليل ومرة بالصباح وقت القتال حتى قال: «لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم»، إذا سقوط سيف أبي طلحة منه كان حال القتال، وهذا ما يقوي الظن في وقوع النعاس وقت مصافاتهم للقتلا نهارًا، وربما يكون وقوع النعاس تكرر مع تكرر المصافاة، ولكنه وقت القتال آكد، أو يكون النعاس الذي غاشهم ليلًا كان بسبب الإرهاق والجهد الذي بذلوه في إعداد المعسكر فناموا حتى لا يكونوا مغلوبين من السهر في الغد، بالإضافة إلى المشقة من عناء السفر المتواصل خلال مطاردتهم لأبي سفيان، والنعاس الذي غشيهم في النهار حال الحرب كان بغرض الأمن والسكينة وثبات القلوب فلا يفروا من حشد المشركين ولا يهابوا جمعهم، وغدا ثبت وقوع النعاس في أحد حال قتلا، لأنهم لم يناموا ليلًا في أحد، فإن وقوعه في بدر حال القتال آكد واثبت لأن المسلمين

يوم بدر كانوا اقل عددًا من المشركين وأخف ظهرًا وسلاحًا، وكان خروجهم على غير موعد ولا استعداد فإلقاء النعاس عليهم ساعة القتال آمن لقلوبهم وأريح لنفوسهم، وربما وقع لهم النعاس نهارًا لأنهم كانوا بين يدي الكفار لم يناموا ليلا خوفًا من هجوم مرتقب، وكيف ينام من كان خصمه على خطوات منه، يخشى أن يباغته في أي لحظة؟! فلم ينالوا نصيبهم من النوم ليلًا، فأراد الله أن يعوضهم ذلك فأرسل إليهم النعاس نهارًا بمثابة السكينة والطمأنينة، فدبت الحيوية والنشاط في عروقهم، واكتسوبا الخفة والسرعة في حركاتهم، الأمر الذي حار فيه الكفار وانهيارات لذلك جموعهم وانكسرت. وقد رجح ابن كثير أن النعاس قد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور جدا، وأما الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر، وهي دالة على وقوع ذلك أيضا وكأن ذلك كائن للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم وكما قال تعالى:﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾[137]، ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ مبتسما فقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع» ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى: ﴿**سَيُهزَمُ ٱلجَمعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ** ﴾[138][139].

تقليل عدد الكفار في عيون المسلمين:

من الفوائد والتوفيقات الإلهية، تقليل المؤمنين في أعين الكافرين، لأنه لو كثرهم في انظارهم لعدلوا عن القتال ، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: (**لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا**)[140]، وفي هذه الحالة لن يتأهب المشركون كل التأهب فيستهينوا بقدرات خصومهم، وفي المقابل فإن تقليل المشركين في نظر المسلمين مع تواضع إمكاناتهم وقلتها أسهم في زيادة ثقتهم بأنفسهم، لما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن.

فيهم ثلاثة أقاويل: أحدها: أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة ، قاله ابن عباس ومجاهد والثالث أنهم قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النبي ﷺ ذكره الماوردي[141] والمرض هاهنا الشك والإشارة بقوله هؤلاء إلى المسلمين وإنما قالوا هذا لأنهم رأوا قلة المسلمين فلم يشكوا في أن قريشاً تغلبهم[142]، ومن يتوكل على الله، أي يعتمد على الله عز وجل، وقيل: جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم[143]، فإن الله عزيز حكيم، غالب لا يذل من استجار به وإن قل ويفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه.

وقيل: أي لا يضام من التجأ إليه فإن الله عزيز منيع الجانب عظيم السلطان وحكيم في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها فينصر من يستحق النصر[144]. وفي هذا النص بيان لموقف من مواقف المنافقين، يشاركهم فيه الذين في قلوبهم مرض دون النفاق، وهو في قضية الإيمان مرض الشك، وعدم ثبات الإيمان واستقراره في القلوب، هذا الموقف يظهر عند مواجهة المؤمنين للكافرين في قتال حاد، وتكون قوى المؤمنين في المقاييس السببية أقل من قوى الكافرين، كما كان الحال في غزوة بدر الكبرى، إذا كان المؤمنون وكان الكافرون قرابة الألف، وكانت فوارق القوى العتادية والتموينية أكثر من هذه النسبة، وفي مثل هذا الموقف لابد أن يقول المنافقون وأشباههم، الذين لا يؤمنون بالقوى المعنوية الإيمانية، ولا بالقوى الغيبية التي يؤيد الله تبارك وتعالى بها عباده المؤمنين، وينصرهم بها على أعدائه، ويعدل بها ميزان القوى المادية التي يرجح

بها الكافرون رجحانا ظاهراً، لابد أن يقول المنافقون وأشباههم عندئذ مقالة تنسجم مع نظرتهم غير الإيمانية، لقد قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض (**غر هؤلاء دينهم**) وكرروا هذه المقالة بدليل الفعل المضارع في (**إذ يقول المنافقون**...)، قبل أن تنتصر القلة المؤمنة في بدر على الكثرة الكافرة، تقديراً منهم بأن النصر سيكون للكافرين، وأن الهزيمة والهلكة ستحلان بالمؤمنين، وهم حكم منهم مبني على الظواهر السببية المنظورة، فكان الرد الرباني العملي ليقلب موازين القوى لصالح المؤمنين، ونصرهم نصراً مؤزراً عظيماً على مشركي قريش، وجيشهم المختال.

وكان الرد الرباني عقب حكاية مقالة المنافقين والذين في قلوبهم مرض، يتلخص بثلاثة نقاط:

الأول: بيان العقيدة الإيمانية الفكرية بالنسبة إلى هذا الموضوع وهي: أن من يتوكل على الله تبارك وتعالى صادقاً في توكله، ملتزماً منهاجه وصراطه المستقيم تولاه الله عزل وجل بتأييده ونصره، دل على هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[145].

الثاني: بيان نتيجة المعركة التي ظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض والكافرون المجاهرون بكفرهم، قبل بدء المعركة وأثناء قيامها، أن الهلكة ستكون فيها للقلة المؤمنة، وأن النصر سيكون للكثرة المشركة إذ قلب الله تبارك وتعالى موازين القوى فنصر المؤمنين على المشركين وأمد الله المؤمنين بجنود من الملائكة، فقاتلوا أعداء الله عز وجل مع أوليائه بنسب من القوى القتالية محدودة، لا بقوى ملائكية كقوى الملائكة المرسلة لإهلاك قوم لوط .دل على ذلك بعض ما جاء في السورة قبل هذا النص، وهو قول الله تبارك وتعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ**) [146].

تقليل المشركين في نظر الرسول ﷺ

أرى الله نبيه ﷺ المشركين في المنام ليلة السابع عشر من رمضان قليلًا عددهم، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فازدادوا ثباتًا ويقينًا، وكان هذا قبل بدء القتال، قال تعالى: ﴿**إِذ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيل وَلَو أَرَىٰكَهُم كَثِيرا لَّفَشِلتُم وَلَتَنَٰزَعتُم فِى ٱلأَمرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ**﴾ [147]، وبعد إخبار النبي ﷺ للمسلمين بتقليل المشركين له في المنام، أكد الله تعالى للمسلمين وهم في مصاف القتال هذا التقليل عيانًا بيانًا، رأي العين، قال تعالى: ﴿**وَإِذ يُرِيكُمُوهُم إِذِ ٱلتَقَيتُم فِى أَعيُنِكُم قَلِيلا...**﴾[148]، فقد قلل الله المشركين في نظرهم حتى صرح عبد الله بن مسعود ﷺ بذلك، وأراد الله تعالى أن يقوي عزائم المسلمين على القتال وليربط على قلوبهم فلا يخافوا من كثرة الكفار ولا يفزعوا، وكان عدد المسلمين هو الأقل وذلك قبل القتال، فبلغ الغرور بأحد المشركين وهو قياث بن أشيم[149] ﷺ قال فيه: «**والله لو خرجت نساء قريش بالسهاء ردت محمد وأصحابه**»[150].وقد نقل ابن كثير قول مجاهد: أراهم الله إياه في منامه قليلا، وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك، فكان تثبيتا لهم، وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد، وحكى ابن جرير عن بعضهم، أنه رآهم بعينه التي ينام بها، وقد روى ابن أبي حاتم: «حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو قتيبة، عن سهل السراج عن الحسن في قوله: إذ يريكهم الله في منامك قليلا قال بعينك، وهذا القول غريب، وقد صرح بالمنام هاهنا، فلا حاجة إلى التأويل الذي لا دليل عليه، وقوله: ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي لجبنتم عنهم، واختلفتم فيما بينكم، ولكن الله سلم أي من ذلك، بأن أراكهم قليلا إنه عليم بذات الصدور أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه الأحشاء، ﴿**يَعلَمُ خَائِنَةَ ٱلأَعيُنِ وَمَا تُخفِى ٱلصُّدُورُ**﴾، وقوله: وإذ

يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا وهذا أيضا من لطفه تعالى بهم، إذ أراهم إياهم قليلا في رأي العين، فيجزؤهم عليهم ويطمعهم فيهم.

قال أبو إسحاق السبيعي: عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين؟ قال: لا بل هم مائة، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه، فقال: كنا ألفا، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال ابن كثير قوله: (**ويقللكم في أعينهم**)، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن الزبير بن الحارث عن عكرمة وإذ يريكموهم إذ التقيتم الآية، قال: حضض بعضهم على بعض، إسناد صحيح. وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في قوله تعالى: ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليلقي بينهم الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته، ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله في عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما احتدم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين، بقي حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه، كما قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ**﴾[151]، وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين، فإن كلا منهما حق وصدق، ولله الحمد والمنة[152].

إغراء الفريقين واستدراجهم للقتال:

فشلت جميع مساعي ذوي الصلاح والإصلاح من المشركين، وقد وقف ابو جهل أمامهم وفشل مساعيهم الخيرية، ولم يكن غرور أبي جهل هو السبب فحسب، بل إن ذلك كان وفق النسيج الإلهي والاستدرج الخفي ليحق الله الحق ويقضي أمره في عصابه الكفر والضلال، ويعز بهلاكهم الإسلام والمسلمين، قال ابن كثير: «**من لطف الله تعالى بهم إذا رآهم إياهم قليلًا في رأي العين فيجرؤهم عليهم ويطعمهم فيهم**»، وعلى هذا يكون الإغراء وقع على كل من الطرفين، فالمسلمين تشجعوا وتقووا وأقدموا على اللقاء وهم أثبت جنانًا وأربط جاشًا، بينما غلب على المشركين الطمع والسمعة والظن لكسب أي جولة بينهم وبين المسلمين، ولكن حقيقة الأمر استدراج من الله تعالى الذي وعد نبيه ﷺ إحدى الطائفتين، والذي رتب هذا اللقاء على غير موعد بينهما، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢**﴾[153].

تضاعف أعداد المسلمين في نظر المشركين:

وعندما اقتربت الصفوف وأوشكت الحرب رأى المشركون المسلمين مثليهم في العدد رأي العين، لأن الله عزز المؤمنين بالملائكة، وأكثر عددهم بهم، قال تعالى: (**قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين**)[154]، ولكن في حقيقة الأمر المشركون هم الأكثر والمسلمون هم الأقل، ولله أن يؤيد نبيه ﷺ بكل ما هو أهله من المعجزات النبوية، وبهذا تبدلت الصورة في ميدان القتال، وحان وقت القتال وهاج معسكر المشركين فهرب إبليس من بينهم وولى الأدبار.

قال ابن كثير: «يرونهم مثليهم رأي العين قال بعض العلماء فيما حكاه ابن جرير: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم، أي جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم، وهذا لا

إشكال عليه إلا من جهة واحدة، وهي أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يَحْزِرُ لهم المسلمين، فأخبرهم بأنهم ثلاثمائة يزيدون قليلا أو ينقصون، وهكذا كان الأمر كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ثم لما وقع القتال أمدهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم»[155].

والقول الثاني: أن المعنى في قوله تعالى: (**يرونهم مثليهم رأي العين**)، أي: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم، أي ضعيفهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم، وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفي عن ابن عباس: «أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلا»، وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس[156] وهذا ما رجحه ابن كثير[157].

المبارزة بين المسلمين والكفار:

المعروف عند الائمة أن من شهد بدرا عددهم: ثلاثمائة رجل تزيد أربعة عشر[158]، وقيل ثلاثة عشر[159]، وقيل تسعة عشر[160]، والقائل بالأول يقول من المهاجرين: ثلاثة وثمانون رجلا، والباقي من الأنصار، فمن الأوس: إحدى وستون، ومن الخزرج: مائة وسبعون رجلا، وقد زاد ما في الاستيعاب على أربعمائة، كما اتفق جمعه هنا، وما ذاك – والله أعلم – إلا أن الذين تعرضوا لذكر البدريين من أهل السير، يقصد كل واحد منهم العدد المذكور، وهو عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر، وما عبره معه إلا مؤمن[161]، فكل من صنف في البدريين يقصد ذلك العدد، فتكون عند بعضهم أسماء رجال لم تكن عند الآخر والآخر ثم الآخر كذلك. فجاء ابن عبد البر فاستوعب جميع ما ذكروه، فحصلت الزيادة في الجملة، وإلا فعددهم لم يبلغ ذلك في نفس الواقع، الله سبحانه أعلم، وكذلك أصحاب بيعة العقبة فهم سبعون أو ثلاث فقد دخلتهم الزيادة كما ترى. والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

قال الحافظ ابن حجر، رحمه الله في "الفتح"[162]، عند تعرض البخاري في الصحيح لتسمية طائفة من البدريين ما نصه: (فجملة من ذكر من أهل بدر هنا أربعة وأربعون رجلا، وقد سبق البخاري إلى ترتيب أهل بدر على حروف المعجم[163]، وهو أضبط لاستيعاب أسمائهم، ولكنه اقتصر على ما وقع له من ذلك. واستوعبهم ضياء الدين المقدسي[164]، في كتاب "الأحكام"[165]، وبين اختلاف أهل السير في بعضهم وهو اختلاف غير فاحش، وأورد ابن سيد الناس أسماءهم في "عيون الأثر"[166]، لكن على القبائل كما صنع ابن إسحاق[167]، وغيره، واستوعب ما وقع له من ذلك فزاد على ثلاثمائة وثلاثة عشر، خمسين رجلا. قال: وسبب الزيادة الاختلاف في بعض الأسماء)[168]. وأما أحداث المعركة ووصفها، فقد تناولته الآيات بشكل أوسع، فذكرت الأماكن التي نزل فيها جيش المسلمين وجيش والمشركين والقافلة، وذلك في قوله تعالى: (**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**) [169].

كما تحدثت عن استغاثة الرسول صلي الله عليه وسلم والمسلمين بربهم، وإمدادهم بالملائكة، وإنزال النعاس والمطر عليهم[170]، وتقليل عدد المشركين في أعينهم؛ كل ذلك ليثبت قلوبهم ويرهب عدوهم، وذلك في قوله تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**) [171]، إلى قوله تعالى: (**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ**)[172]، وفي قوله: (**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً**)[173]، إلى قوله: (**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**)[174]، **وفي قوله:** (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ**)[175]، إلى قوله: (**فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**)[176]، كما تحدثت عن التقاء المسلمين

بالمشركين في المعركة، وفرزتهم إلى فئتين، فئة تقاتل في سبيل الله، وأخرى كافرة، وجعلت ذلك آية وعبرة، وذلك في قوله: (**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ**)[177]، وتحدثت في هذا المحور أيضاً عن استفتاح المشركين وقول أبي جهل: (**اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة**)[178]، اللهم انصر خير الدينين، وذلك في قوله تعالى: (**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**)[179]، كما تحدثت عن المبارزة التي حصلت في بداية المعركة بين عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم من المسلمين، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين؛ وذلك في قوله تعالى: (**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**) [180]، وتحدثت الآيات أيضاً عن مشاركة النبي صلي الله عليه وسلم في القتال، ورميه الحصباء في وجوه المشركين[181]، وذلك في قوله: (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**)[182]. ولم تشر الآيات في هذا المحور إلى عدد من الأحداث، ومن ذلك: خروج النبي ﷺ مع أبي بكر الصديق ﷺ لاستكشاف المنطقة، ولقائه بأعرابي، وما دار بينهما من حوار، وأسر الصحابة ليلة المعركة غماناً من قريش كانوا على ماء بدر، وبناء العريش للنبي ﷺ، وتحديده لهم مصارع القوم، وقصته مع سواد بن غزية[183] وعمير بن الحمام[184] وهو يعدل الصفوف، كما لم تشر أيضاً إلى الخلاف الذي دار بين عتبة بن ربيعة وأبي جهل، ورغبة عتبة الرجوع بالجيش، وتقدم الأسود بن عبد أسد نحو حوض الماء الذي بناه المسلمون، وقتل حمزة له، إلى غير ذلك من الأحداث الكثيرة التي جرت أثناء المعركة.

نتائج غزوة بدر:

حدثت الغزوة في أرض المعركة بسهل واسع الذي يبعد عن المدينة (150) كم وعن مكة (300) كم وعن شاطئ البحر الأحمر (25) كم، وقد بدأت المعركة صباح يوم الأحد (17) من رمضان السنة الثانية للهجرة بين فريقين غير متكافئين عدداً وعدة، بدأ رسول الله ﷺ يحث أصحابه على الصبر والبلاء، وبدأت المعركة عندما أقبل أحد المشركين وهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي مقترباً من الحوض الذي بناه المسلمون قائلاً: والله لأشربن من هذا الحوض أو اهلك دونه، فاقترب من الحوض فتصدى له حمزة فضربه بسيفه وثنى بأخرى فخر صريعاً، وبدأت الحرب مبارزة قتل فيها أربعة من صناديد قريش، مما أثر نفسيا على مجرى المعركة، أما المسلمون فاندفعوا يقاتلون ويثبتون عند النزال ممتثلين بقول الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً**)[185]، وظل الرسول صلي الله عليه وسلم يتفقد جنده ويدعو ربه حتى جاءت بشائر النصر، قال تعالى: (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**)[186]، وقد تحدث عن الأنفال والغنائم التي غنمها المسلمون في هذه الغزوة في موضعين اثنين، الأول عند قوله تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**) [187]. وقد ذكر ابن كثير، ما رواه البخاري: قال ابن عباس: الأنفال المغانم، حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان، أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال: نزلت في بدر. أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: الأنفال الغنائم، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها المغانم، وقال الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: الأنفال الغنائم[188]، ومن الآية الأولى من سورة الأنفال، وهي التي سميت السورة بها، إلى الآية الرابعة منها. وقد ركز القرآن في هذه

الآيات على تربية الصحابة، فحثهم على تقوى الله، ونبذ الخلاف لأجل هذه الأمور، وإصلاح ذات البين، وأمرهم بطاعة الله ورسوله، وتفويض أمر هذه الغنائم لهما يقسمها النبي ﷺ بحكم الله تعالى.

أما الموضع الثاني فبين فيه مصارف الغنائم، وذلك في قوله تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ)**[189]. وركزت الآيات على قضية الأسرى وما أخذ منهم من الغنائم[190]، فتحدثت عن ذلك في خمس آيات، من قوله تعالى: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)**[191]. ولم تغفل الآيات أولئك الرجال الذين أكرهتهم قريش على الخروج معها لقتال المسلمين[192]، والحوار الذي دار بين الصحابة في شأنهم. ولم تشر الآيات في هذا المحور إلى صلاة النبي ﷺ على الشهداء، ورفعهم عن مكان المعركة، وطرح المشركين في القليب، وآثار خبر هزيمة قريش على أهل مكة، وإرساله ﷺ عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة إلى المدينة يبشرهم بانتصار المسلمين، وإقامته في بدر ثلاثة أيام ثم رجوعه إلى المدينة، وقتله بعض الأسرى في الطريق، وتلقي أهل المدينة للرسول صلي الله عليه وسلم في الروحاء، إلى غير ذلك من الأحداث.

قتلى المشركين في بدر:

قتل في بدر من صناديد قريش وأشرافهم، منهم: عتبة بن ربيعة، وأخوة شيبة، وابنة الوليد، وأبو جهل بن هشام، قتلة معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ ابن عفراء فتيان من الأنصار، ثم ادركه عبد الله بن مسعود وبه رمق، فوضع رجله على عنقه، فقال أبو جهل له: لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يارويعي الغنم، فاجتز ابن مسعود راسه وجاء به إلى رسول الله ﷺ، وأمية بن خلف وكان هو الذي يعذب بلالًا على الإسلام، فلما رآه بلال قال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، وكان أمية وابنه قد وقعًا اسيرين في يد عبد الرحمن بن عوف، فدرأ بلالًا عنهما، فقال بلال: لا نجوت إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، راس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا فأحاجوا به وبابنه حتى قتلوهما، والعاص بن هشام بن المغيرة، وعبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة، وحنظلة بن ابي سفيان، ونوفل بن خويلد الأسدي، وابو البختري بن هشام، وكان رسول الله قد أوصى المسلمين به خيرًا كما أسلفنا ولكنه أبى إلا أن يترك هو وزميل له، فقالوا له: ما أمرنا رسول الله إلا بك واحدك، قال: لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعًا، وغيرهم كثير[193]. وقد أخذ المشركون يتساقطون صرعا، حتى قتل منهم سبعون وأسر سبعون، وكان بعضهم يصرعون في مواضع كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين لأصحابه قبل المعركة أنهم يصرعون فيها وذكرهم بأسمائهم[194]. وقد قتل من كفار قريش ومن تبعهم سبعون رجلًا، فمن مشاهيرهم: حنظلة بن ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وعبيدة بن سعيد بن العاصي، وأخوه: العاصي بن سعيد، وعقبة بن ابي معيط، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، والحارث بن عامر نوفل بن عبد مناف، وابن عمه، طعيمة بن عدي، قتل صبرًا، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وابنه: الحارث بن زمع، وابنه: الحارث بن زمعه، وابن عمه: أبو البحتري العاصي بن هشام بن الحارث بن اسد، ونوفل بن خويلد بن اسد، والنضر بن الحارث بن كلده بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، ضربت عنقه صبرًا بالصفراء، وعمير بن عثمان، عم طلحة بن عبيد الله، وابو جهلي هشام، وأخوه: العاصم بن هشام، وابن عمهما: مسعود بن أبي أمية بن المغيرة، وأخو أم سلمة أم المؤمنين، وابو قيس بن الوليد بن المغيرة، أخو خالد بن الوليد، وابن عمه: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والسائب بن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، عاصم بن ثابت بن ابي الاقلج صبرًا، وقيل: قتله على

رضي الله عنه، وقد اختلف فيه، فقيل: إنه لم يقتل يومئذ بل أسلم بعد ذلك، ومنبه بن الحجاج، وابنه: العاصي بن منبه بن الحجاج، وأخوه: نبيه، وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وابنه: علي بن أمية، وأسر مالك بن عبيد الله بن عثمان، أخو طلحة بن عبيد الله، فمات أسيرًا، وحذيفة بن هشام ابنا أبي حذيفة بن المغيرة، وذكر أنه قتل واسر من بني مخزوم وحلفائهم من المشركينيوم بدر أربعة وعشرون رجلًا، ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلًا[195].

عدد الأسرى:

اختلف أهل السير والتاريخ في عدد أسرى غزوة بدر، فابن إسحاق عندما فرغ من تسمية الأسرى قال: "فجميع من حفظ لنا من الأسرى ثلاثة وأربعون رجلاً"[196]، ونقل الطبري بسنده عن يزيد بن رومان مولى الزبير بن العوام أن الأسرى أربعة وأربعون أسيراً[197]، ونقل ابن كثير عن عروة بن الزبير وموسى بن عقبة – وهما من أصحاب المصنفات في السيرة – أن الأسرى تسعة وثلاثون أسيراً[198]، وذكر يحيى بن محمد الأنصاري أن المحصي منهم تسعة وأربعون أسيراً[199]. وذكر ابن قتيبة أن الأسرى أربعة وأربعون أسيراً[200]، ولعلهم كانوا يذكرون من عرف اسمه منهم لا يقصدون عددهم. وقد تواتر عند المسلمين منذ الصدر الأول أن عدد الأسرى سبعون أسيراً. قال ابن كثير: والمشهور أن الأسارى يوم بدر كانوا سبعين، وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والبراء بن عازب ﷺ، وسعيد بن المسيب[201]، وأبي عمرو بن العلاء[202]، وابن سعد[203]، وذكر ابن شهاب الزهري أنهم يزيدون على سبعين أسيراً، ونقل الواقدي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصة المازني أن الأسرى أربع وسبعون أسيراً[204]، وقال ابن عبد البر: "ولا يختلفون في أن الأسرى سبعون في الجملة وقد يختلفون في تفصيل ذلك"[205]، ولعل ما ذهب إليه ابن شهاب الزهري هو الراجح، فهم أقل مما ذكر ابن أبي صعصعة وفوق السبعين. وقد تبين بجلاء من خلال هذه الغزوة ، ومن خلال الآيات التي تناولتها ، حقيقة النصر وكونها بيد الخالق سبحانه وتعالى، وأن النصر لا يتم إلا باستتمام أسبابه كلها ، فليست القوة وحدها هي مفتاح النصر ، ولو كانت كذلك لكان النصر من نصيب المشركين الذين فاقوا الصحابة عددا وعدة، وبذلك نرى ان المسلمين عندما استكملوا أسباب النصر وأتموا شروطه تحقق لهم النصر في هذه المعركة .وأسباب النصر التي جاء التنبيه عليها تتعلق بتقوى الله عز وجل والطاعة لأوامر الوحي ، والصبر عند ملاقاة العدو والثبات أثناء المعركة ، وإخلاص النية في القتال ، إضافة إلى ضرورة البعد عن أسباب الشحناء والاختلاف ، وأهمية الإكثار من ذكر الله عز وجل قبل وأثناء المعركة ، والتأكيد على إعداد العدة والأخذ بكافة الأسباب الممكنة للمواجهة ، والتوكل على الله عز وجل بعد الأخذ بكافة الأسباب الحسية والمعنوية ، وكل هذه الأسباب مبثوثة في عدد من الآيات كقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)**[206]، وقوله سبحانه: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ)**[207]، وقوله سبحانه: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)** [208].

كما يأتي الدعاء واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في مقدم الأسباب المحققة للنصر، ويظهر آثر ذلك في موقف النبي ﷺ في هذه المعركة وإلحاحه في الدعاء حتى سقط عنه رداؤه، وبعد أن استكمل المسلمون

شروط النصر وأسبابه رأينا التدابير الإلهية التي ساقها الله تعالى ، فجاء المدد الإلهي بالملائكة لمساندة المؤمنين ، وجاء التثبيت القلبي الذي رفع من معنوياتهم ، ونزل المطر ليكون سبباً من أسباب النصر والتأييد بما حققه من أثر في تطهير القلوب والأجساد وتثبيت الأقدام، وكذلك للنعاس التي تغشى المؤمنين قبل المعركة كان له آثره في شعورهم بالأمن والطمأنينة .

ويمكن أن نستنتج من هذه الغزوة جملة النتائج التالية:

1. حتمية المفاصلة بين الحق والباطل مهما امتد الزمن، فالصراع بينهما مستمر ومتجدد، ولا بد من لقاء فيصل يعز بعزه المؤمنين ويذل به الكافرين، وتمضي مسيرة الدعوة إلى الله في طريقها المستقيم حتى يكتمل النور.
2. ضرورة جمع المعلومات وبث العيون لمعرفة أحوال العدو وتحركاته حتى يتمكن المسلمون من إعداد العدة والقوة التي أمر بها الله تعالى قبل القتال.
3. وجوب الاعتماد على قوة الإيمان في مواجهة أعداء الله؛ لأن الغلبة في منظور الإسلام بقوة الغيمان لا بكثرة العدد.
4. يجب الاعتماد على الله والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب فيتمثل المسلمون حقيقة العدة الإيمانية وإظهار العجز أمام القوي بصفاته وذاته العلية، ثم إعداد القوة المادية عملا بمبدأ الحيطة والذر
5. مشروعية إعداد الصفوف واتخاذ التكتيكات الحربية اللازمة لمفاجأة أعداء الله بوسائل القتال المتطورة فإن الحرب خدعة.
6. تأكيد وقوع التأييد الإلهي للمسلمين بالخوارق والمعجزات النبوية فزادهم ذلك إيمانًا بالله وحبًّا في رسوله ﷺ.
7. تولى الله المسلمين يوم بدر بمزيد من نعمه الظاهرة والحسية، فأنزل المطر وألقى على المسلمين النعاس وقتل المشركين في نظرهم، كما ألقى الرعب في قلوب أعدائهم، ونزلت الملائكة لنصرة المسلمين
8. بيان فضل الدعاء وتأكيد أهميته لا سيما عند زحف الصفوف في القتال، عملًا بدعائه ﷺ ومناشدته ربه في جوف الليل وفي العريش، ووقوف أبي بكر بجانبه يشاطره الدعاء والمؤمنين من بعده فاستجاب الله دعاءهم وأثابهم فضلًا وفتحًا قريبًا.
9. حرمة الفرار من القتال وتولية الأدبار، والثبات أمام العدو مهما كانت كثافته إلا أن يكون انسحاب تكتيكي لخطة يرمي لها قائد الجيش، أما هروب الكفار يوم بدر عار وفضيحة، فلا يصدر ذلك من المسلمين فإنه من أشد المعاصي وأقبح الذنوب.
10. وجوب طاعة القائد وبيان مساوئ مخالفته وآثار ذلك في نتائج القتال، فأجاد أصحاب رسول الله ﷺ دور الأتباع والاستمتاع، وتباروا في تنفيذ وصاياه وتسابقوا إلى اتباع أوامره بكل يقظة وحذر، فجاءت النتائج الطيبة واكتسح المسلمون الكفار وحازوا نصر بدر الخالد.
11. انتهت أحداث بدر في ظهر نفس اليوم، ففي فترة قياسية قصيرة حسمت قضية عداء الكفار للإسلام ردحًا من الزمن في الخصام والإيذاء للمسلمين والاستهزاء، ولقد استغرق القتال في بدر أقصر فترة زمنية مقارنة بباقي الغزوات.

12. الإحسان إلى الأسرى كان سببًا مباشرًا لكسب ودهم وداعيًا قويًا لإشهار إسلامهم، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، والإحسان أعلى مراتب الدين، فلم يكن حسن معاملة النبي ﷺ بالأسرى ووصايته بهم لمجرد الكسب المادي، وإنما كان ذلك لله، لأن الله أمره بالإحسان إلى الإنسان حيثما كان، فلما كانت النية خالصة والنوايا طيبة أتى الله بهم مسلمين مخلصين مؤمنين لله رب العالمين.

الخاتمة والتوصيات:

من خلال ما تم عرضه عن منهج ابن كثير في الكتابة التاريخية وخاصة غزاة بدر، يمكننا تقديم بعض التوصيات التي تساعد على الفهم بشكل أفضل، ومنها:

1. تميز أسلوب ابن كثير في التفسير بالسهولة والوضوح، مما يجعله ميسور الفهم لجميع القراء.
شمل تفسير ابن كثير معلومات واسعة النطاق في مختلف مجالات المعرفة الإسلامية، من علوم القرآن والتاريخ والفقه إلى علم اللغة العربية.
2. حرص ابن كثير على التوازن بين الرأي والنقل في تفسيره، فلم يقتصر على نقل أقوال المفسرين السابقين، بل قدم آرائه الخاصة مستندًا إلى الأدلة الشرعية.
3. اعتمد ابن كثير في تفسيره على المصادر الأصلية المسندة، من كتب السير والمغازي، إضافةً لكتب السنة النبوية كالصحيحين، وكتب السنن.
4. غالباً ما يرجِّح قول ابن إسحاق عند الاختلاف بين أهل السير والمغازي.
5. أحيانًا ما كان يغفل ابن كثير ذكر المصادر الأصلية، وينقل اختياره في تفسير الآيات مجملاً.
6. وتتمثل السيرة النبوية الجانب العملي والتطبيقي المشرق للدين الإسلامي.
7. وتتمثل جانبًا بيانًا مفصلًا لكثير من المسائل المذكورة في القرآن الكريم.
8. كتب التفسير لها منهجية خاصة عند تناولها لسرد وعرض السيرة النبوية.
9. تمثل كتب التفسير ضرورة حتمية كونها تمثل السيرة العملية والتفسير العملي للاقتداء برسول الله ﷺ.

الهوامش:

(1) جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ذيل طبقات الحفاظ، مطبوع بذيل: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م، ص361.

(2) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (1/8).

(3) المصدر السابق (1/10).

(4) اللاحم، سليمان بن إبراهيم، منهج ابن كثير في التفسير، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1420هـ، ص181.

(5) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١ هـ)، لإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م 2/1235()

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/8).

(7) اللاحم، منهج ابن كثير، ص225.

(8) تفسير ابن كثير، (2/471)، نقلًا عن: اللاحم، منهج ابن كثير، ص226.

(9) اللاحم، منهج ابن كثير، ص329.

(10) ابراهيم، سليمان، منهج ابن كثير في التفسير، ص75 وما بعدها.

(11) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردیها)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م (2/162).

(12) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ (13/247-262).

(13) الداوودي، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (1/115-116).

(14) السيوطي، طبقات المفسرين، (1/252-253)، ابن كثير، الحافظ عماد الدين، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله المحسن التركي، ط. الرياض: دار هجر، 1419هـ (13/55).

(15) المصدر السابق، (1/264).

(16) المصدر السابق، (1/375-376).

(17) المصدر السابق، (1/264).

(18) البداية والنهاية، (13/55).

(19) ابن كثير، البداية والنهاية، (12/70).

(20) أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط.1، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، (2/349).

(21) ابن العماد، شذرات الذهب، (2/139-140).

(22) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/286)، وما بعدها.

(23) المصدر السابق، (1/411)، وما بعدها.

(24) المصدر السابق، (4/182)، وما بعدها.

(25) المصدر السابق، (4/330)، وما بعدها.

(26) اللاحم، منهج ابن كثير، ص331.

(27) الحميدان، صالح، السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ص62.

(28) اللهيبي، صالح محمد زكي، تدوين السيرة النبوية من خلال كتب تفسير القرآن، ص6.

(29) المصدر السابق، ص14.

(30) المصدر السابق، ص15.

(31) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/430)، (1/432)، ابن هشام، عبد الملك، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م ، (1/601-605).

(32) نخلة: واد بين مكة والطائف وهو إلى الطائف أقرب، بينهما عشرة أميال، وتسمى نخلة اليمانية. انظر: ابن حجر، فتح الباري 8/ 671، ياقوت الحموي، معجم البلدان 5/ 277.

(33) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (2/315).

(34) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/431)، وأورده ابن شبه، عمر، تاريخ المدينة، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة عام النشر: ١٣٩٩ هـ ذكر سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم (2/472)، وذكره العراقي، أبو الفضل، طرح التثريب، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، (7/249)، وقال ليس إسنادها بمتصل ولا ثابت، وأخرجه أخرجه البخاري معلقا قبل حديث (٦٤) بنحوه مختصًرا، والبيهقي (١٨٤٤٩)، والخطيب في «الكفاية» (ص٣١٢) باختلاف يسير.

(35) المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام، تهذيب سيرة ابن هشام، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، (1 /190-192).

(36) البقرة، الية: 217

(37) ابن حجر، أحمد، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ (7 /323).

(38) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/7) وهو ما رجحه، العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، (2 /369-370).

(39) الأنفال، 41

(40) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/14)، وقد أوردها الألباني، في صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن، ط. الأولى، ص218، وصححها، وشعيب الأرنؤوط، في تخريج مشكل الآثار، ص4878، بإسناد ضعيف، وأشار أحمد شارك في مقدمة كتاب، عمدة التفسير، (2/103)، إلى صحته، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية، (3/247)، أن له شواهد مسندة،

(41) الأنفال، 5.

(42) ابن حجر، فتح الباري، حديث رقم 11346، (7 /280).

(43) الحج، 39.

(44) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (5/380)، وذكره ابن حجر في فتح الباري، (7/327) بإسناد صحيح، وحسنه الترمذي في السنن، (3171).

(45) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/59)، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.دار المعارف بمصر، ط.الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م (2 /28)، ابن كثير، البداية والنهاية، (2 /315).

(46) العُشيرة -بالمعجمة والتصغير وآخرها: هاء- هي ببطن ينبع، وخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى يريد قريشا فوادع فيها بني مُدْلج من كنانة. للمزيد انظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/ 598).

(47) قال الواقدي: «الحوراء: وراء ذي المروة بينها وبينها ليلتان على الساحل، وبين ذي المروة والمدينة ثمانية برد أو أكثر قليلا». الواقدي، المغازي (1/ 101).

(48) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/14)، وقد أوردها الألباني، في فقه السيرة، ص218، وصححها، وشعيب الأرنؤوط، في تخريج مشكل الآثار، ص4878، بإسناد ضعيف، وأشار أحمد شارك في مقدمة كتاب، عمدة التفسير، (2/103)، إلى صحته، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية، (3/247)، أن له شواهد مسندة، رواه ابن هشام، (2 / 61)، عن ابن إسحاق بسنده الصحيح عن ابن عباس.

(49) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/60)،

(50) قال: ابن سعد: «وهي على ميل من المدينة» الطبقات الكبرى (2/ 12)، انظر: الشراب، محمد بن محمد، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دمشق- بيروت : دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ (ص43) إذ قال فيه: «بئر أبي عنبة: بلفظ واحدة العنب. روي في حديث غزوة بدر أن رسول الله ضرب عسكره على بئر أبي عنبة وهي على ميل من المدينة. فعرض أصحابه وردّ من استصغره».

(51) قال أبو بكر الهمداني: « ذَفِرَانَ: - بِفَتْحِ الذال وكسر الفاء وبَعْدَهَا راء -: وادٍ قربَ وادي الصفراء، قال ابن إسحاق - في مسير النَّبِي صلى الله عليه وسلم إلى بدر -: فلما استقبل الصفراء وهي قَرْيَة بين جبلين ترك الصفراء يساراً وسلك ذات اليمين على وادٍ يُقَالُ له ذفران». انظر: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت ٥٨٤هـ)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ (ص447). ولا زال

المكان معروفا يأخذه الطريق من الحمراء- بوادي الصفراء- إلى ينبع، راجع: محمد شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (ص120).

(52) لم أجد له ترجمة، بالرغم من شهرته، قال الحلبي: «ولا يعرف له إسلام، والذي من الصحابة» السيرة الحلبية (2/ 197).

(53) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/15)، ابن كثير، البداية والنهاية، (3/261)، وقال له شواهد، وأخرجه الطبري في تاريخه، (220/11).

(54) الأنفال، 7

(55) المقداد ابن عمرو ابن ثعلبة ابن مالك ابن ربيعة البهراني ثم الكندي ثم الزهري حالف أبوه كندة وتبناه هو الأسود ابن عبد يغوث الزهري فنسب إليه صحابي مشهور من السابقين لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. راجع: ابن حجر، تقريب التهذيب، المحقق: محمد عوامة، سوريا: دار الرشيد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ (ص545).

(56) برك الغماد: قيل: إنه موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن. ويبدو أنها أمكنة متعددة توصف بالوعورة، أو البعد والوعورة. انظر: الشراب، المعالم الأثيرة (ص 47)

(57) العسقلاني، فتح الباري، حديث رقم 11346، (7 /280).

(58) نقل الحموي قول السكري في وصف المكان إذ قال: «وقال السكري: الجحفة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، والجحفة أول الغور إلى مكة، وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عرق، وأول الثغر من طريق المدينة أيضا الجحفة». الحموي، معجم البلدان (2/ 111).

(59) أي الكفار بالعدوة القصوى، وهي البعيدة التي من ناحية مكة. انظر تفسير ابن كثير (4/ 66).

(60) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/14-16)، ابن كثير، البداية والنهاية، (3/261)، وله شواهد، والطبري، تاريخ الطبري، (220/11).

(61) الأنفال، 11

(62) الحباب بن المنذر الأنصاري الأسلمي يكنى بأبي عمرو ويلقب بذي الرأي كان عمره في غزوة بدر 33 سنة وقد أخذ النبي برأيه في غزوة بدر أيضا ومات في خلافة عمر ﷺ. انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (3/567).

(63) عبد الجبار، صهيب، الجامع الصحيح للنسن والمسانيد، 2014م، (14/411)، (19/211).

(64) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/60).

(65) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، أسلم يوم فتح مكة، من المؤلفة قلوبهم. له ترجمة في الإصابة (1/ 349).

(66) الأنفال، 44

(67) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/61).

(68) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/25) (5/169)، وأخرجه مسلم في الجهاد، حديث (58)، وأحمد في المسند (1/ 30، 32، 117).

(69) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/25) (5/169)، وأخرجه مسلم في الجهاد، حديث (58)، وأحمد في المسند (1/ 30، 32، 117).

(70) ابن كثير، البداية والنهاية، (2/491).

(71) قال ابن سعد: «قَيْسُ بنُ صَعْصَعَة ابن وهَبْ بن عَدِيّ بن مالك بن عَدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النجار، وأمه النجود بنت الحارث بن عدي بن مالك بن عَدِيّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النجار، فَوَلَدَ قَيْسُ بن صَعْصَعَةَ: المُنْذِرَ، وأمُّه أُمُّ المنذر بنت قيس بن عَمرو بن عُبيد بن مالك بن عدي بن عامر بن غَنْم بن عَدِيّ بن النَّجّار. وشهد قَيْسٌ أُحُدًا». الطبقات الكبير، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، القاهرة – مصر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (4/ 332). والجدير بالذكر أن ترجمة قيس ليست مذكورة في طبعة الصادر، وأفضل طبعات هذا الكتاب هي طبعة الخانجي لأنها جمعت شتات الكتاب في طبعة واحدة.

(72) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/15)، الأثر في تفسير الطبري، (6/ 184، 185)، وسيرة ابن هشام، (1/ 606، 607)، وأخرجه الطبري في تاريخه، (220/11)، وذكره أحمد شامر في مقدمة كتاب عمدة التفسير، (2/103).

(73) الأنفال، البية: 42

(74) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/58).

(75) الأنفال، 47.

(76) الشوكاني، محمد، فتح القدير، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط.الأولى، ١٤١٤ هـ (2/392).

(77) الأنفال، 47.

(78) البغوي، أبو محمد، معالم التنزيل، عبد الرزاق المهدي، بيروت: ط.دار إحياء التراث العربي –، ط.الأولى ، ١٤٢٠ هـ (2/300).

(79) الشوكاني، فتح القدير، (2/392).

(80) الرازي، أبو عبد الله، التفسير الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.الثالثة، ١٤٢٠هـ (15/492).

(81) سراقة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك بن عمرو بن تيم المدلجي الكناني يكنى أبا سفيان صحابي مشهور من مسلمة الفتح، وهو الذي لحق النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر حين خرجا مهاجرين إلى المدينة. انظر ترجمته في الإصابة (3/ 41).

(82) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/64)، وذكر البوصيري، اتحاف الخيرة المهرة، (2/291)، كذب من داود بن المحبر.

(83) الزمخشري، ابو القاسم، الكشاف، بيروت: دار الكتاب العربي، ط.الثالثة، ١٤٠٧ هـ (2/216).

(84) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/64).

(85) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/64)، الرازي، التفسير الكبير، (15/491).

(86) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/65)، الرازي، التفسير الكبير، (15/492).

(87) الواقدي، محمد، المغازي، مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط.الثالثة - ١٤٠٩/.١٩٨٩ (1/71).
(88) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/66)، ابن كثير، البداية والنهاية، (3/342)،
(89) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/21)، ابن كثير، البداية والنهاية، (3/342)،
(90) الأنفال، 12
(91) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/16)، صحيح مسلم، برقم (1763)، ومسند أحمد، (1/118).
(92) الأنفال، 9
(93) صحيح البخاري، (6/51)، برقم (4124)، مسند الإمام أحمد، (5/165)، برقم (3042)، إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة، =فمن رجال البخاري. وهيب: هو ابن خالد بن عجلان البصري، وخالد هو ابن مهران البصري الحذاء. قال الحافظ في «الفتح» 8/619: هذا من مرسلات ابن عباس، لأنه لم يحضر القصة، وروى عبد الرزاق (في تفسيره 2/259، قلنا: والطبري أيضا 27/108) عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة، أن عمر قال: لما نزلت: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول: (سيهزم الجمع) الاية، فكأن ابن عباس حمل ذلك عن عمر، وكأن عكرمة حمله عن ابن عباس، عن عمر. قلنا: وأخرجه البخاري (4875) عن محمد بن يحيى الذهلي، عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وأخرجه البخاري (2915) و (3953) و (4875) ، والنسائي في «الكبرى» (11557) ، والطبرائي (11976) ، والبيهقي في «الدلائل» 3/50، وقي «الأسماء والصفات» ص149، والبغوي في «تفسيره» 4/264، وفي «شرح السنة» (3775) من طريق عبد الوهاب الثقفي، والبخاري (4877) من طريق خالد بن عبد الله الواسطي، كلاهما عن خالد الحذاء، به.
(94) الأنفال، 12
(95) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/36).
(96) رواه بهذا اللفظ: «لن يلج النار»، الإمام البزار، في البحر الزخار، الحديث، (8/276)، برقم (3340).
(97) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب حكم الجاسوس إذا كان مسلمًا، (3/785)، برقم (2650).
(98) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، (3/88)، برقم (3983)..
(99) صحيح البخاري، (5/80)، برقم (3992)، وقد انفرد بإخراجه البخاري وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ، والصواب رواية البخاري كما ذكر ابن كثير، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/18)،
(100) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي، اتفق العلماء على شهوده بدرًا، وكان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها، مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، وله خمس وستون سنة. راجع ترجمته في الإصابة (2/ 4).
(101) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/18)، صحيح البخاري، (5/145)، برقم (4274).
(102) صحيح البخاري، (5/80)، برقم (3992).
(103) صحيح البخاري، (5/86)، برقم (4022).

(104) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/21).
(105) الأحزاب، 10
(106) الثعلبي، أحمد، الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ، ط.الأولى، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م (4/333).
(107) البغوي، أبو محمد، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (7/106).
(108) البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (3/194).
(109) ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ (9/281).
(110) الأنفال، 12
(111) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/672).
(112) الأنفال، 9
(113) آل عمران، 125
(114) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/98)، ابن هشام، السيرة النبوية، (1/643)،
(115) الأنفال، 10، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/99)
(116) الأنفال، 12، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/99)
(117) الأنفال، 12، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/99)
(118) قال ابن سعد: «أخبرنا عتاب بن زياد، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا هشام بن عروة عن عباد بن حمزة بن الزبير قال: نزلت الملائكة يوم بدر عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يوم بدر ريطة صفراء قد اعتجر بها». الطبقات الكبير، (2/ 24).
(119) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/20)
(120) آل عمران، 124.
(121) آل عمران، 124.
(122) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/97).
(123) آل عمران، 124.
(124) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/98)
(125) الأنفال، 11.
(126) الأنفال، 12.
(127) آل عمران، 123.
(128) الأنفال، 43.
(129) الزمخشري، الكشاف، (2/225)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/315).
(130) القمر، 44.

(131) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/60). وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (1/239)، ابن كثير، البداية والنهاية، (3/267)، والحديث أورد أبو داود في سننه، (3/58)، برقم (2681)، المسند الجامع الموضوعي الجامع للكتب العشرة، (7/233).

(132) بن كثير، المغازي النبوية، ص49

(133) الأنفال، 11

(134) آل عمران، 154

(135) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/19).

(136) الطبري، جامع البيان، (2/44).

(137) الانشراح، 5- 6

(138) القمر، 45

(139) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/19).

(140) الأنفال، 42

(141) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية، (2/ 325).

(142) البيضاوي، ناصر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: ط.دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ (114/1)، ابن الجوزي، زاد المسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط.الأولى - ١٤٢٢هـ (3/367 – 368).

(143) القرطبي، جامع البيان، (26/4)، ينظر: البيضاوي، ناصر، (114/1)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (419/2).

(144) الزمخشري، الكشاف، (217/2)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (419/ 2).

(145) الأنفال، 49

(146) الأنفال، 12

(147) الأنفال، 43

(148) الأنفال، 44

(149) قال ابن سعد: «قباث بن أشيم بن عامر الملوح بن يعمر وهو الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث. شهد بدرا مع المشركين وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك وشهد مع النبي، ﷺ، بعض المشاهد» الطبقات الكبير، (5/ 128)، قال محقق الكتاب كذا ضبطت القاف بالفتح في الأصل ضبط قلم. وورد لدى ابن حجر في الإصابة «قباث والمشهور فتح أوله وقيل بالضم، وبه جزم ابن ماكولا».

(150) ابن كثير، أبو الفداء، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط.عيسى البابي الحلبي،القاهرة، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، (2/465).

(151) آل عمران، 13

(152) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/61)، الطبراني، المعجم الكبير، (10/147)، برقم (10269)، وابن أبي شيبة، المصنف، (7/260)، برقم (36698)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (6/84)، برقم (9993)، بإسناد صحيح.

(153) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/328).

(154) آل عمران، 13

(155) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/14).

(156) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/14)، ابن حماد، نعيم، الفتن، (1/345)، برقم (999)، ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، (1/254)، برقم (328)، الحاكم، المستدرك، (3/275) برقم (5076)، قال الهيثمي: وإسناده حسن. مجمع الزوائد: 6/74، وسكت عنه الذهبي في التلخيص

(157) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (2/14).

(158) ومستند فريق أهل العلم في أن جموع أصحاب بدر: 314 رجلا، هو الحديث التالي: (عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فقال لأصحابه: (تعادوا فوجدهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا. ثم قال لهم تعادوا فتعادوا مرتين. فأقبل رجل على بكر له ضعيف وهم يتعادون فتمت العدة)، فتح الباري. (12/294)، وسنن سعيد بن منصور، (2/363)، برقم (2874)، تيسير الساري تخريج أحاديث فتح الباري، (4/2722)، برقم (1839).

(159) من اعتمد على هذا العدد من العلماء كان دليله في ذلك حديث البراء الذي ورد فيه: (كنا نتحدث أن أصحاب بدر يوم بدر كعدة أصحاب طالوت ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا). الجامع الكبير للترمذي. كتاب السيد عن رسول الله، ﷺ. باب ما جاء في عدة أصحاب بدر. حديث (3/248)، برقم (1597).

(160) من ذكر عدة أهل بدر 319 رجلا، استدل برواية عمر بن الخطاب التي جاء فيها: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله، ﷺ، إلي المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، حديث (1763)، ص.843

(161) استعرض القرآن الكريم بتفصيل قصة الملك طالوت وهو في طريقه لقتال جالوت، والابتلاء الذي تعرض له جيشه العريض. ولم يقو على تحمل الشدائد إلا فئة قليلة من جنوده، وهي التي كان النصر حليفها في دحر جبروت جالوت.

(162) اسمه الكامل: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أشهر شرح موضوع على الجامع الصحيح.

(163) رتب البخاري من تمت له روايته عنهم في جامعه الصحيح، ذكرها في: كتاب المغازي. باب: (تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع).

(164) ضياء الدين المقدسي (ت643هـ) العلامة المحدث والمؤرخ المشهور، صاحب المصنفات الجليلة أهمها: (فضائل الأعمال) و(الأحاديث المختارة)، و(فضائل الشام)، و(فضائل القرآن)، و(مناقب أصحاب الحديث)، و(سبب هجرة المقادسة إلى دمشق). ترجمته في: فوات الوفيات، (2/391)، ذيل طبقات الحنابلة، (3/514).

(165) اسم الكتاب: (السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام)، صدر بتحقيق: عبد الله حسين بن عكاشة. عن دار ماجد عسيري. جدة. السعودية. ط1425هـ-2004م. وما وجد من هذا الكتاب ينقصه كتاب المغازي الذي تضمن أسماء البدريين على الحروف، ومن حسن الحظ أن العلامة ابن كثير احتفظ لنا بنص ضياء الدين المقدسي، وأدرجه بتمامه في كتابه البداية والنهاية، (5/213-256).

(166) أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري (ت734هـ)، له مصنف في السيرة النبوية

سماه: (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير). صدر الكتاب في مجلدين، بتحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين مسيتو، عن دار ابن كثير. (د.ت)

(167) محمد بن إسحاق بن يسار (ت151هـ) أحد العلماء المتقدمين في معرفة المغازي والسير، وأحد أوعية هذا الفن، جمع المغازي والسير في كتاب اشتهر بسيرة ابن إسحاق، المسماة بـ: (المبتدأ والمبعث والمغازي). صدر هذا الكتاب بتحقيق وتعليق: محمد حميد الله. عن معهد الدراسات والأبحاث والتعريب. المغرب. 1396هـ-1976م. ترجمته في: الطبقات الكبرى، (7/349-350).

(168) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (12/357).

(169) الأنفال، 42

(170) الواقدي، (1/54)، ابن سعد، الطبقات، (2/15)، وابن هشام، السيرة، (2/259)، البيهقي، أحمد، دلائل

(171) النبوة، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، ط.دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط.الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (3/110).

(172) الأنفال، 9

(173) الدر المنثور، (4/28)، فما بعدها.

(174) الأنفال، 42

(175) الدر المنثور، (4/74)، فما بعدها.

(176) آل عمران، (4/26).

(177) آل عمران، 127.

(178) آل عمران، 12

(179) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/28).

(180) الأنفال، 19

(181) الحج، 19.

(182) الخبر مذكورٌ عند ابن هشام، (2/268)، والبيهقي، دلائل النبوة، (3/79)، والهيثمي، مجمع الزوائد، (6/78)، بإسناد ذكر أنه حسن.

(183) الأنفال، 17

(184) هو: سواد بْن غزية الأنصاري من بني عدي بْن النجار، وقيل: هو حليف لهم، من بني بلي بْن عمرو بْن الحاف بْن قضاعة، شهد بدرًا، والمشاهد بعدها، وهو الذي أسر خَالِد بْن هشام المخزومي يَوْم بدر، وهو كان عامل رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم علي خيبر، فأتاه بتمر جنيب، قد اشترى منه صاعًا بصاعين من الجمع. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبير (3/ 478)، عز الدين ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، (2/ 590).

(185) هو: عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب، وأمه النوار بنت عامر بن نابئ بن زيد بن حرام بن كعب. وآخى رسول الله ﷺ بين عمير بن الحمام وعبيدة بن الحارث وقتلا يوم بدر جميعا. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبير (3/ 523).

(186) الأنفال، 15

(187) الأنفال، 9

(188) الأنفال، 1

(189) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (4/3)، صحيح البخاري، (6/61).

(190) كان الفداء يتراوح ما بين ألف درهم إلى أربعة آلاف، ابن هشام، السيرة، (2/306)، وسنن أبو داود، كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، (3/139).

(191) الأنفال، 41

(192) الأنفال، 69

(193) كان معظم الرجال الذين أكرهوا على الخروج من بني هاشم، منهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث وطالب بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب وغيرهم. انظر: البيهقي، دلائل النبوة، (3/ 105).

(194) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار القلم – دمشق، ط.الثامنة - ١٤٢٧ هـ (2/149).

(195) العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م (3/366).

(196) ابن حزم، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، ص152-147

(197) الطبري: محمد بن جعفر (311 هـ)، تاريخ الأمم الملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، د.ت، (2/459).

(198) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (3/300).

(199) الواقدي، المغازي (1/144).

(200) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص .155

(201) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (3/300).

(202) ابن هشام، السيرة، (2/373)، الطبري، جامع البيان، (2/474)، الواقدي، (1/14).

(203) ابن هشام، السيرة، ()2/372.

(204) ابن سعد: محمد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1405هـ (2/18).

(205) الواقدي، المغازي (1/144).

(206) ابن عبد البر: يوسف بن عبد البر النمري، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص .111

(207) الأنفال، 29

(208) الأنفال، 45

(209) الأنفال، 60

المصادر والمراجع:

(1) ابن الجوزي، زاد المسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط.الأولى - ١٤٢٢هـ.

(2) ابن عاشور، محمد، التحرير والتنوير: الدار التونسية للنشر – تونس.

(3) أبو شهبة، محمد، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، الناشر: دار القلم – دمشق، ط.الثامنة - ١٤٢٧ هـ

(4) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

(5) الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .

(6) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت ٥٨٤هـ)، تحقق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥ هـ

(7) البداية والنهاية، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل مكتبة المعارف، بيروت.

(8) البداية والنهاية، ابن كثير، الحافظ عماد الدين، تحقيق عبد الله المحسن التركي، ط. الرياض: دار هجر، 1419هـ

(9) البغوي، أبو محمد، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(10) البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (3/194).

(11) البيضاوي، ناصر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: ط.دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

(12) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.دار المعارف بمصر، ط.الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

(13) تاريخ المدينة، ابن شبه، عمر، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة عام النشر: ١٣٩٩ هـ

(14) تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها)، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: د بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

(15) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

(16) التفسير الكبير، الرازي، أبو عبد الله، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(17) تقريب التهذيب، ابن حجر، المحقق: محمد عوامة، سوريا: دار الرشيد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

(18) تهذيب سيرة ابن هشام، المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت.

(19) الثعلبي، أحمد، الكشاف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ، ط.الأولى، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢م.
(20) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر: يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
(21) دلائل النبوة، البيهقي، أحمد، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، ط.دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط.الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
(22) ذيل طبقات الحفاظ، جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مطبوع بذيل: «تذكرة الحفاظ» للذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.
(23) الزمخشري، ابو القاسم، الكشاف، بيروت: دار الكتاب العربي، ط.الثالثة، ١٤٠٧ هـ (2/216).
(24) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 هـ
(25) السيرة الحلبية، الحلبي، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم بن احمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 2002م.
(26) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين، العمري، أكرم ضياء، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط.السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م (3/366).
(27) السيرة النبوية الصحيحة، العمري، أكرم ضياء، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
(28) السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير، الحميدان، صالح، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ص62.
(29) السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط.الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
(30) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط.1، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
(31) صحيح السيرة النبوية، الألباني، المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن، ط. الأولى.
(32) الطبقات الكبرى، ابن سعد: محمد، دار صادر، بيروت، 1405هـ (2/18).
(33) الطبقات الكبير، ابن سعد، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، القاهرة – مصر: مكتبة الخانجي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
(34) طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
(35) طرح التثريب، العراقي، أبو الفضل، الطبعة المصرية القديمة - وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

(36) فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية – مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ

(37) فتح القدير، الشوكاني، محمد، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط.الأولى، ١٤١٤ هـ

(38) اللهيبي، صالح محمد زكي، تدوين السيرة النبوية من خلال كتب تفسير القرآن.

(39) المعارف، ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

(40) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، الشراب، محمد بن محمد، دمشق- بيروت : دار القلم، الدار الشامية، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ

(41) معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد، عبد الرزاق المهدي، بيروت: ط.دار إحياء التراث العربي –، ط.الأولى ، ١٤٢٠ هـ (2/300).

(42) معجم البلدان، الحموي، ياقوت، بيروت، 1400هـ

(43) المغازي، الواقدي، محمد، مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط.الثالثة - ١٩٨٩/١٤٠٩.

(44) منهج ابن كثير في التفسير، سليمان بن إبراهيم اللاحم، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، 1420هـ

(45) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت / لبنان: دار الكتب العلمية، (2/ 325).